700

روايات عبير

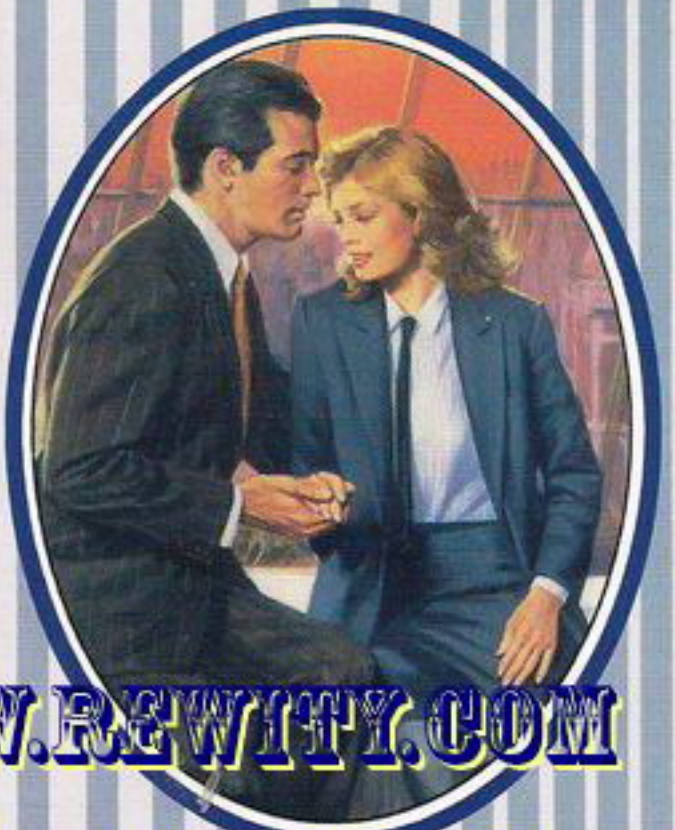

WWW.RGWITY.COM

مرمورية

Adrienne Chastain

من أجل حبي

الأصليّة

روايات عبير

«من أجل حبي»

كانت السماء تنذر بسقوط المطر والثلج حين توقَّف محرك السيارة... في تلك الليلة بدأتْ قصة حب بين «أوليفيا» التي فتحت قلبها للحب والغيرة، و«ديلاني» المعذَّب الذي أصيب في حادث سيارة، فعاش وحيدًا في مزرعة مهجورة حاقدًا على العالم، فاقدًا الثقة بالنساء، ولكن بعد لقائهما دبّت في أعماق نفسه الغيرة، واشتعلت نيران الشوق، فتغير كل شيء في حياته، أمّا «دانيال» -الذي كان يحلُم بأن تكون «أوليفيا» زوجة له- عاش على ذكرياته معها. ودارت معركة بين عقلها وقلبها، ولكن الغيرة لم تستطع أن تطفئ نيران النشوة الحُلوة اللافحة التي تتقد في أعماقها.

ثمن النسخة

لبنان	3000 ل.	قطر	10 ريال
سوريا	100 ل.	مسقط	1 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	6 جنيه
السعودية	10 ريال	المغرب	30 درهم
الكويت	750 فلس	ليبيا	5 دينار
الإمارات	10 دراهم	تونس	2.5 دينار
البحرين	1 دينار	اليمن	300 ريال

ISBN 995338035 -X
9 789953 380353

العنوان الأصلي لهذه الرواية
Full Circle

تأليف
Adrienne Chastain

الغلاف بريشة الفنان
Patrice Gordon

WWW.REWITY.COM
مـرمـوريـة

من أجل حبي

(700)

الناشر
المركز الدولي للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

الإدارة العامة والتوزيع
تليفون: **00 961 9 212 666** – فاكس: **00 961 9 212 665**
ص.ب **374** جونيه – لبنان
Email: info@inter-press.org   www.inter-press.org

وكلاء التوزيع
دار ميوزيك – دار البشير – دار إي بي سي

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعًا باتًا نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب وبأية وسيلة مرئية أو صوتية... إلخ
إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر

- 5 -

- 1 -

كانت السماء تنذر بسقوط المطر والثلج حين توقف محرّك السيارة، فأمسكت «أوليفيا» بالمقود بشدة. وحاولت أن تقنع نفسها بأن كل شيء على ما يرام وأدارته من جديد، دون جدوى. عندها تذكّرت ما قاله لها الأصدقاء بأن بداية شهر آذار (مارس) فترة غير ملائمة للسفر، وعلى الرغم من ذلك أرادت أن تزور الحقول والتلال الخضراء في شمالي «إنجلترا» إلا أنها في تلك اللحظة أدركت أنها اختارت وقتا غير ملائم للقيام بمثل هذه الرحلة، ولكنها -ولأول مرة في حياتها- أرادت أن تقوم بعمل أخرق، فقد أمضت أيام صباها بالعمل المتواصل... ممرضة تعتني بسيدة عجوز، أو ابنة أخت مخلصة لخالة متطلّبة ومحبة... عبثًا حاولت أن تدير المحرّك قبل هبوط المطر، لكن خيوط الماء انهمرت وتساقطت قطرات كبيرة على زجاج السيارة. ومع صوت المطر تذكرت أمر الوقود!! لن تسير السيارة بالهواء! وهي لم تملأ خزّان الوقود. وقد سارت ساعات بعد أن تناولت طعام الغداء، ونسيت أنه لا وجود لمحطات البنزين في تلك المناطق النائية التي تكاد تخلو من السكان، تنهّدت «أوليفيا» ونظرت حولها، ثم أغمضت عينيها وتخيّلت بهاء الهضاب الجنوبية ودروبها الجميلة ولوحات

الاتجاه، ثم فتحت عينيها لكنها لم تر أية لوحة اتجاه، ولاحظت أنه لا يحيط بها سوى صور كلسية جرداء، فانتابها شعور بالخوف والقلق، وتمنّت لو تستطيع أن تهرب من تلك الورطة بطرفة عين، لكن إلى أين تهرب، وأي اتجاه تسلك؟

الحقول الشاسعة تمتد أمامها إلى ما لا نهاية، لكنها لا ترى أي كائن حيّ غير الطيور التي تمرّ بها غير مبالية، أو الخراف المبعثرة على الروابي البعيدة، كبر فيها القلق لكنها استسلمت للأمر الواقع، وأدركت أنها لن تستطيع أن تدير المحرك، فإن السيارة لن تتحرّك من مكانها. فجأة توقّف المطر فغادرت السيارة. أقفلت الأبواب ثم توجهت إلى الصندوق، فأخرجت حقيبة تحتوي على بعض أدوات الزينة، ووعاء فيه شيء من القهوة، وعلبة صغيرة من الكريما، كان هذا كل ما تملكه من طعام.

كانت السيارة تقف في مكان أمين، بعد أن أبعدتها «أوليفيا» عن الطريق العام وأوقفتها على العشب، التفتت حولها بخوف وتذكرت أنها خلال ساعة كاملة لم تلتق إلا بسيارتين، وعلى الرغم من ذلك شجّعت نفسها، وأملت أن يمرّ بها أحد قريبًا.

عضّت على أسنانها وحملت حقيبة طعامها بيدها، ثم علّقت حقيبة يدها بكتفها وسارت باتجاه المجهول، لكن الظلام هبط باكرًا، لأن السماء كانت ملبّدة بالغيوم السوداء، لم تكن تقصد أي

مكان، لكنها كانت تسير فقط كي لا تفقد الأمل، ومرّ الوقت بطيئًا و «أوليفيا» وحيدة. فجأة رأت على جانب الطريق حجرًا قديمًا حفرت عليه كلمات استطاعت أن تقرأ منها القسم الأول: «على بعد خمسة كيلومترات من...» فقد محت السنون الجزء الأخير من العبارة وأضاعت اسم المكان. على ذاك الحجر الصغير جلست «أوليفيا» بحذر، وتناولت ما تبقّى لها من قهوة وكريما بينما المطر ينهمر، لكنها لم تبالِ؛ لأن قبّعة سترتها المبطّنة كانت تقيها من البلل. كانت ترتدي بنطلونًا من القماش المتين لا تتسرب إليه المياه بسهولة وتنتعل حذاءً مريحًا، لذلك صممت أن تتابع السير علّها تجد نهاية لهذه الرحلة المضنية...

دقائق طويلة ولاح لها من بعيد ضوء، فاعتقدت للوهلة الأولى أن النور لم يكن إلا وهمًا، لكنها استطاعت أن تلمح بريقه البعيد بين خيوط المطر، وتأكدت أن مصدره بيت ناءٍ في هضبة بين الأشجار، فراحت تتقدّم شيئًا فشيئًا باتجاه الضوء حتى باتت على مقربة منه، وكان خوفها يزداد كلما اقتربت. عند مدخل الطريق المؤدي إلى مصدر النور، توقفت قليلا وتساءلت.. هل تتابع سيرها في ذلك الدرب المهجور؟ تردّدت للحظات لكنها كانت تأمل أن تلتقي أناسًا طيبين يستضيفونها ريثما يتوقف المطر؛ لذلك تابعت خطواتها حتى أدركت النور، واكتشفت أنها أمام مزرعة فُتحت القاسية

الكبيرة، فأثار الأمر دهشتها وتساءلت: كيف يمكن لمزارع حريص على حيواناته أن يترك بوابة مزرعته مفتوحة؟ لذلك تخيلت أن المزرعة لابد أن تكون مهجورة، لاسيما وأن سورها الخشبي يكاد ينهار، ونوافذها مخلّعة، كاد أملها يتلاشى لكنها فجأة سمعت نباح كلب، من أين تراه أتى؟ ومن أين يتسرّب النور؟ لابد أن يوجد إنسان في داخل المزرعة وهذا هو المهم!

كان المطر يهطل بغزارة ويبلّل ثيابها حين طرقت «أوليفيا» الباب وطلبت النجدة، لكنها لم تسمع سوى صدى طرقاتها الملحّة، طال وقوفها وابتلّت من رأسها حتى أخمص قدميها، فقررت أن تدخل بأية وسيلة، حتى ولو اضطرت أن تقفز من إحدى النوافذ المخلّعة، لكنها اكتشفت أن الباب لم يكن مقفلا، فدفعته أمامها ودخلت، وإذا بكلب حجمه مخيف يبرز أنيابه الحادّة، وتأهّب لينقضّ عليها فأحسّت برجفة، وشعرت بأن الدم تجمّد في عروقها، ولكن قبل أن يهجم الحيوان الشرس علا صوت من الداخل:

- اهدأ يا«راف»! اهدأ! وعلمت أن هذا اسم الكلب؛ لذلك مدّت يدها إلى رأسه وحاولت أن تهمس إليه:

- مرحبًا يا«راف». فتوقف الكلب عن النباح، وراح يحرّك ذيله بسعة ويمدّ لسانه ليلمس به يدها، فشعرت «أوليفيا» بشيء من الارتياح، وهي تلاعبه وتناديه باسمه. وبينما يدها تمسح رأسه

لاحظت حول عنقه طوقًا يحمل قطعة معدنية ذات لون ذهبي حفر عليها اسم ما، فحبست أنفاسها حين اكتشفت أن القطعة لا تحمل اسمًا فقط، بل ختمًا يشير إلى أنها من الذهب الصافي، فحاولت بجهد أن تقرأ اسم صاحب الكلب وعنوانه، لكن صيحة قوية منعتها من ذلك:

- اجلس مكانك يا «راف»! هل تسمعني؟ فانحنى «راف» نحو الأرض، وسقطت القطعة من يدي «أوليفيا»-التي رفعت نظراتها الخائفة نحو الداخل، وقد أرعبها منظره أكثر من زمجرة الكلب عندما دخلت إلى الغرفة.

كان الغضب يلمع في عينيه البنيّتين القاتمتين، فشعرت «أوليفيا» بأن الرجل يكاد ينفجر غيظًا؛ لأن أحدًا تجرأ واقتحم حرمة منزله حين صرخ بها:

- بحق الجحيم ماذا تريدين؟ في تلك اللحظة بدا الرجل وكأنه مازال يوجّه كلامه إلى الكلب، لكن نظراته الساخطة حطّت على «أوليفيا»، فتملّكها خوف شديد. كان شكله يشبه شكل «ناسك»، بنطلونه ممزق عند ركبتيه، وكذلك قميصه عند كوعيه، وقد وضع يديه في جيبي بنطلونه، ولاحظت أن قدميه شبه حافيتين. كان ممشوق القامة، طويل الشعر حالكه، غطّت وجهه لحية سوداء، وانتصب رأسه فوق كتفين عريضتين. وعلى الرغم من نبرته القاسية

بدا صوته مهذبًا، لذلك قالت له «أوليفيا»:

– أنا متأسفة، إني حقًّا متأسفة. وحاولت أن تشير إلى مكان سيارتها وهي تضيف:

– لقد تعطّلت سيارتي، نفد منها الوقود. فأجابها الرجل:

– حاولي –على الأقل– أن تجدي عذرًا مقنعًا. فخلعت قبعتها وكشفت عن عينين أضناهما التعب، وعن شعرها الكستنائي الذي يغطي وجهها الشاحب، فلاحظ الرجل بنطلونها المبلل الملتصق برجليها وهي تقول له:

– هذه هي الحقيقة، لقد وقفت السيارة على مقربة من هنا، وقطعتُ المسافة سيرًا على الأقدام علّني أجد محطة بنزين. توقفت عن الكلام ونظرت إليه فأرعبها منظره وهو يقول لها:

– يجب أن تخافي مني أيتها السيدة، أنا مجرم قاتل هارب من السجن، انظري إليّ جيدًا، لأني مازلت قادرًا على القتل. ثم اقترب من «أوليفيا» وصرخ:

– هيا اخرجي. لكنها بقيت واقفة مكانها وهتفت قائلة:

– إني مبتلة ومتعبة وجائعة. أرجوك يا سيدي... لا أبالي إن كنت مجرمًا أم لا... دعني على الأقل أجفّف ثيابي، أنا متأكدة أن لديك موقدًا، فلقد رأيت دخانه. لا أريد إلا القليل من الماء وبعض الطعام.

– اسمعي أيتها السيدة، إني مصاب بداء الطاعون ومرضي معدٍ، وكل من ألمسه يصاب بالعدوى، والآن ألا ترغبين في الخروج بعد أن عرفت حقيقتي؟ أمام عبارته تلك خاطبت «أوليفيا» نفسها قائلة: «يا إلهي! إنه حقًّا مريض، وهو وحيد بحاجة إلى من يعتني به». فقال لها وكأنه أدرك ما يجول بخاطرها:

– اخرجي! هيا اخرجي! ماذا عليَّ أن أفعل لإقناعك بأني رجل خطير؟ لم تخف من نبراته، لكن لم يكن بوسعها إقناعه ببقائها فهمّت بالخروج، فلحق بها الكلب وكأنه يرافقها في نزهة، لكنها أغلقت الباب في وجهه وخرجت. ماذا تراها تفعل؟ هل تكمل سيرها لتضيع في العتمة أم تعود أدراجها لتعرّض نفسها لمرض الطاعون؟ وبينما هي تسير حائرة سمعت نباح الكلب وراءها، فالتفتت فرآته يدعوها للعودة. كان الكلب يلتفت وراءه من حين إلى آخر؛ ليتأكد من أنها تلحق به.

عندما وصلا إلى باب المزرعة بدا لها أن الرجل هو الذي فتحه بعد أن انتصر عليه كلبه، فدخلت إلى الغرفة الباردة. كان سقفها عاليًا جدًّا وجدرانها رطبة داكنة اللون، وقد امتدت على أرضها قطعة بساط ممزقة، وفوقها في وسط الغرفة طاولة من خشب وراءها كرسي شبه محطّم. فجأة خيّم هدوء كامل على المكان، فتساءلت الصبية المبللة عن سبب اختفاء الكلب وصاحبه. وقامت تبحث عن موقد نار

www.rewity.com

لتجفيف ثيابها، فشاهدت الحيوان الضخم قابعًا أمام باب غرفتها يتربّص بكل حركة تقوم بها، فنادته بصوت خافت:

– «راف»! قل لي أين أجده، إنه بحاجة إلى مساعدة، إنه يحتضر. إذا مات يا«راف»... توقفت قليلا ثم تابعت:

– إن حياة الإنسان غالية خصوصًا إذا... توقفت ثانية وتساءلت: ماذا عساها أن تقول؟ من يكون بالنسبة إليها؟ إنه ليس سوى غريب خاطبها بلهجة قاسية، لكنها تابعت على الرغم من ذلك قائلة:

– إن مات يا«راف» فسوف تبقى وحيدًا ولن يعتني بك أحد...

وبينما هي تخاطب الكلب سمعت صوت الرجل ينادي:

– «راف»! تعال إلى هنا وإياك أن ترجع إلى هذه العدوّة...!

تعجبت «أوليفيا» وتساءلت كيف يمكن أن تكون عدوة وهي لا تعرف شيئًا عن الرجل؟ ثم اقتربت من باب الغرفة التي جاء منها الصوت وقالت:

– أرجوك يا سيّدي أن تدلّني على مكان الموقد، فثيابي ما زالت مبتلّة. وانتظرت الجواب، لكن صمتًا رهيبًا ملأ المكان حتى خيّل إليها أن الرجل لم يسمعها، فتقدمت خطوتين إلى الداخل فرأته ممدّدًا على السرير، وعندما أبصرها قال لها بلا مبالاة:

– تستطيعين أن تمضي الليلة هنا، لكن عليك أن ترحلي عند

الصباح. أجابت:

– هذا كل ما أريد... أن أجفّف ثيابي وأن آكل شيئًا. سوف أدفع لك الثمن الذي تطلبه؛ إذ تبدو بحاجة إلى المال لتشتري لنفسك...

التفتت حولها لتتأكد من كثرة الأشياء التي يحتاجها وتابعت:

– لتشتري لنفسك أشياء كثيرة. فأجابها الرجل:

– أفهم من كلامك أنك تملكين الكثير من النقود، وتريدين أن توزعيها على الفقراء... مثلي. تمهّلت قبل أن تجيبه، فهي تملك مبلغًا لا بأس به من المال أوصت لها به خالتها عند وفاتها، لكنها على الرغم من بلوغها السادسة والعشرين لم تفكر يومًا بتبذير مالها، وكان مجرد التفكير بالثروة التي هبطت عليها أمرًا يزعجها، ويعكّر صفو مزاجها، وبسبب هذه الثروة تركت المنزل الذي ورثته عن خالتها، والذي عاشت فيه إحدى عشرة سنة بعد وفاة والدتها، وقرّرت أن تقوم برحلة إلى شمال شرقي «إنجلترا»، بعد أن أصبحت حرّة طليقة ومسؤولة عن مصيرها. وعلى الرغم من البرد القارس وعلى الرغم من الصعوبات التي اعترضتها شعرت بأن شيئًا يدفعها لتنفيذ قرارها، هل كتب لها القدر أن تدخل إلى هذه المزرعة المهجورة وأن تلتقي بهذا الرجل؟ وأية قوة خفية قادتها إلى هذا المكان؟ كانت تفكر بكل هذه الأمور بينما الرجل يتأمل وجهها وينتظر جوابها. وبعد تفكير قالت له:

www.rewity.com

– ما الذي يجعلك تعتقد أني أملك ثروة؟ فأطبق جفنيه وقال:

– من يعلم؟ عندما أغمض عينيه خافت «أوليفيا» أن يستسلم للرقاد قبل أن يدلّها على الموقد، فهتفت:

– يا سيّدي... عليّ أن أجد لك اسمًا أناديك به.

– لماذا؟ على أي حال لن تمكثي هنا أكثر من ليلة واحدة، وعليّ الآن أن أجد لك غرفة تنامين فيها. فعادت «أوليفيا» تسأله:

– بربّك، قل لي أين أجد النار؟ فأجابها:

– في الموقد طبعا. وحين اكتشفت أن لا وجود لموقد إلا في غرفته، خلعت سترتها، وبحثت عن كرسي تلقيها عليه، فرأت كدسة من الكتب فرمت السترة عليها، ثم أخذت تخلع الثياب المبتلّة كلها حتى كادت تتعرّى والتفتت إلى الرجل قائلة:

– أرجوك يا سيد.

– «ديلاني»، «ماك ديلاني».

– أرجوك يا سيد «ديلاني» أن تعطيني ثيابًا جافة ريثما تجفّ هذه. وبعد تردّد نهض عن السرير، وجاءها ببعض الثياب من خزانة الغرفة المقابلة وسألها:

– بحق الجحيم، ما الذي تفعلينه في هذه المناطق وفي مثل هذا الطقس؟ هل أرسلتك إحدى المجلات لتفتحي ملفا قديمًا؟ سألته بدهشة:

– هل تعني أني مراسلة صحفية؟

– حسنًا، قولي لي الحقيقة!

– أنا صادقة. وإذا أردت أن تعرف حقيقة أمري فأنا في عطلة لبضعة أسابيع.

– في عطلة؟ ولكن ما هي مهنتك؟ أجابت بهدوء:

– لا أمارس أية مهنة.

– إذن فلماذا لا تبحثين عن عمل عوضًا عن التجوال في المناطق النائية، وتطرقين أبواب غرباء تجهلينهم؟

– لست بحاجة إلى عمل في الوقت الحاضر، هذا كل ما عندي لأقوله. وتوقف الحوار عند هذا الحد، وراحت «أوليفيا» تنظر إلى الخزانة المليئة بالثياب، فقال لها الرجل:

– إنها ثياب مسروقة. تناولت قميصًا أزرق اللون، وطلبت منه أن يغمض عينيه ريثما ترتديه:

– أرجوك، أغمض عينيك يا سيد «ديلاني»، وكفّ عن التحديق إليّ، أي نوع من الرجال أنت؟

– سبق أن أجبتك عن هذا السؤال يا سيدة، إني مجرم وقاتل.

– لا أصدق ما تقوله.

– هل تريدين إثباتًا على ذلك؟ انتاب «أوليفيا» شعور بالخوف وقالت:

– أرجوك أن تدعني وشأني، لم أقصد إطلاقًا أن أزعج خلوتك. لكنه ظل يحدّق إليها وفي عينيه بريق من الحقد والضعف في الوقت نفسه. غدًا سوف ترحل وتتركه مع عزلته ولن تزعجه أبدًا.

✲ ✲ ✲ ✲ ✲

– 2 –

لم تكن قادرة على أن تخلع بنطلونها المبلل بينما عينا الرجل تحدقان إليها؛ لذا أخذت بنطلونًا له وخرجت لترتديه في الغرفة المجاورة، فسمعته ينادي كلبه ضاحكًا:

– «راف»! عد يا «راف»، ابق هنا! لحظات، ثم عادت إلى غرفة «ديلاني» الذي كان واقفًا أمام النار يحدق إلى ألسنتها الراقصة، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة حين رأى «أوليفيا» وهي لابسة بنطلونه الواسع، فقالت هذه الأخيرة:

– إني آسفة لإزعاجك مرة أخرى، وأعلم أنك قد لا تملك حزامًا لكنني أريد شيئًا من هذا القبيل أحزّم به البنطلون، لكيلا ينزلق عن خصري. جلس على جانب السرير وقال:

– ولماذا؟ أجابت بغضب:

– أريد أي شيء، أرجوك! ألديك خيط أو حبل رفيع مثلا؟

– قد تجدين خيطًا في المطبخ كما قد تجدين فيه مسدسات وخناجر، لكن إياك أن تصوبيها إليّ.

– أنت مجرم يا سيد «ديلاني» بقدر ما أنا مجرمة. في إحدى زوايا الغرفة رأت «أوليفيا» في تلك اللحظة حشرة صغيرة فقامت وداستها بقدمها؛ فقال الرجل:

– هذا برهان على وجهة نظري. أنت –أيضًا– قاتلة لكن ضحاياك تختلف عن ضحاياي. ثم اقترب منها ووضع ذراعه حول عنقها، لم يكن أمامها أي خيار سوى أن تحدق إلى عينيه وتهمس:

– إنك تؤلمني يا سيد «ديلاني». لكنها تأكدت أنها مهما كانت نواياه فلم يكن بوسعها أن تتخلص منه وتهرب. أحست أنها سوف يغمى عليها، فأحنت رأسها إلى الوراء، وتملصت من بين يديه لتسقط فوق السرير وهي تتمتم:

– أعتذر، ليس من عادتي أن يغمى عليَّ. ظلت على السرير إلى أن فارقها الغثيان. وعادت لتفتح عينيها فرأت «ديلاني» واقفًا أمام الموقد وقد انتابه سعال شديد، فهرعت إليه، وأمسكت بيده، وقادته إلى السرير وقالت:

– يا سيد «ديلاني»، إن السرير هو المكان الوحيد الذي يجب أن تكون فيه، لا بل من المفروض أن تكون في المستشفى، أو على الأقل يجب أن يعتني أحد بك. نظر إليها وقال:

– هل أفهم أنك تقدمين نفسك للعناية بي؟ إن كان هذا حقا ما تنوين، فإني أؤكد لك أني لا أملك شيئًا. فبالله عليك أخبريني من هي المرأة التي تقوم بأي عمل كان دون مقابل؟

من خلال عبارته تلك بدأت الحقيقة تتضح في ذهن «أوليفيا»، واعتقدت أن «ديلاني» يكره النساء؛ لأن ثمة امرأة في ماضيه سببت

له ألمًا كبيرًا، جعله يحمل كل هذا الحقد في قلبه. فقالت في نفسها: «لابد أن شخصية «ديلاني» كانت مختلفة في السابق عما هي عليه اليوم». ألقت نظرة خاطفة على الكلب الرابض بجانبها، وراحت تداعبه قائلة:

– أنا جائعة يا «راف»! هلا أرشدتني إلى مكان الطعام؟ وبينما هي تتحدث إليه التفتت إلى «ديلاني» الذي قال لها:

– بما أنك سألت الكلب عن مكان وجود الطعام فدعيه يجبك ياآنسة... أجابت «أوليفيا» وقد أزعجها كلامه:

– «أوليفيا بارنز»! شكرًا على النصيحة، وبما أنني أعتبر أن درجة ذكاء الكلب تفوق درجة ذكاء صاحبه فسوف أذهب حيثما يرشدني.

– سوف تندمين يا آنسة «بارنز» على قولك هذا طيلة حياتك.

– أنا مسرورة؛ لأني سأعيش حياتي يا سيد «ديلاني».

– لكني لم أحدد لك كم من الوقت سوف تعيشين يا آنسة «بارنز». لم تجبه على تهديده الكاذب، وقامت لتتوجه إلى المطبخ فأكمل بنبرة غاضبة:

– إني أحذرك يا آنسة «بارنز»، لن يعجبك مطبخي على الإطلاق. لم يكن «ديلاني» مخطئًا بشأن مطبخه، كانت رائحة كريهة تملأ أرجاءه وبدت معظم أدواته... الصحون والملاعق والأكواب قديمة

www.rewity.com

وقذرة على الرغم من أن الغرفة واسعة كأنها صممت لعائلة كبيرة. وبينما كانت «أوليفيا» تجول بنظرها في أرجاء المطبخ أحست بأن أحدًا يحدق إليها، فالتفتت بسرعة إلى جهة الباب ورأت «ماك ديلاني» واقفًا أمامه وهو يقول:

– الطعام يا آنسة «بارنز» هو ما تبحثين عنه الآن، أليس كذلك؟

– أجل يا سيد «ديلاني». ألا قلت لي من فضلك أين أجده؟

– اسألي الكلب، طالما يفوقني ذكاء! لم ترد وقامت تبحث بنفسها عن أي شيء يسد جوعها، فوجدت أصنافًا عديدة من المعلبات وكمية كبيرة من الخبز، فأدهشها الأمر للوهلة الأولى وسألته:

– من أين جئت بكل هذا طالما أن مظهرك وتصرفاتك يدلان على فقر حالك؟

– ألم أقل لك يا آنسة «بارنز» إنني مجرم؟ لقد سرقت هذا الطعام؛ لأروي غليلي وأشبع شهيتي. ومن جديد مد ذراعه وأحاط خصر «أوليفيا» وجذبها إليه حتى التصق جسمها بجسمه، فباتت لا تستطيع أن تتنفس بسهولة، ورفعت إليه عينين متوقدتين فأصابت بنظرها أنفه المستقيم وشفتيه، لكن «ديلاني» ما لبث أن نزع يده عنها، فأطبقت جفنيها وسمعته يقول:

– يجب أن تخافي مني يا سيدة «بارنز»، أنا أستطيع بيد واحدة أن أنزع الحياة من جسمك، ولن يدري بك أحد، ولن يسمع

صيحاتك ولن يأتي لنجدتك أي إنسان. لكن «أوليفيا» لم تكن تسمع تهديداته، وتذكرت حين خرج من المطبخ أن خفقات قلبه كانت متسارعة كخفقات قلبها، فلحقت به إلى غرفة النوم لتسأله علّه يشاركها طعامها. وحين دخلت إلى الغرفة رأته ممدّدًا على السرير، وبدا وجهه الشاحب أقرب إلى الموت منه إلى الحياة فسألها:

– ماذا تريدين ثانية؟ هل أنت ممرضة تقوم بواجبها؟

– أنا لست ممرضة ولا أقوم بأي واجب، ولكنني قضيت عشر سنوات أعتني بخالتي المريضة إلى أن أسلمت روحها.

– والآن على ما أعتقد تريدين أن تعتني بي حتى أسلم روحي بدوري.

– لن تموت يا سيد «ديلاني»، ربما لو لم أجئ إلى هذا المكان كان من الممكن أن تموت، ولكن... لم يدعها تكمل قولها فقاطعها جازمًا:

– غدًا تتركين هذا المكان وترحلين.

– اطمئن يا سيد «ديلاني»، ما من شيء سوف يجعلني أبقى عندك، والآن قل لي ماذا تفضل أن تأكل؟

– لا شيء على الإطلاق، وإن كنت أريد شيئًا فسوف أجلبه بنفسي. فنظرت «أوليفيا» إلى ذراعه اليسرى وحاولت أن تتكلم لكنه قاطعها قائلا:

www.rewity.com

– لست بحاجة لمن يشفق عليّ. لقد صدمت سيارتي جدارًا.

– ولكني لا أفهم طريقة حياتك! لماذا؟ لماذا؟

– ليس من الضروري أن تفهمي أي شيء. أنت مجرد عابرة سبيل، غدًا ترحلين وكأن شيئًا لم يكن، أما الآن فأريدك أن تخرجي من غرفتي، لست بحاجة إليك أيتها المرأة، أتسمعينني؟ لست بحاجة إلى أي مخلوق باستثناء كلبي المخلص. خرجت «أوليفيا» من الغرفة وتوجهت إلى المطبخ، وجلست تفكر بأمر «ديلاني» هذا. لابد أنه فشل في حب امرأة مما جعله يستسلم لليأس والعذاب، ولكن ألا يجوز أن يكون في حياته شخص آخر يتعدى تصورها وخيالها؟ على أية حال، من عساه يكون؟ أية رياح حملته وأية عواصف حطت به في هذا المكان الموحش النائي؟ أجالت «أوليفيا» ناظريها في الغرفة المجاورة تبحث عن حمام تغتسل فيه، وعندما وجدته خلعت ثيابها واغتسلت بالماء الساخن الذي كان يؤمنه مولد كهربائي.

خرجت من الحمام ودخلت إلى غرفة النوم حيث استلقت على السرير، وحاولت أن تغفو لكن البرد كان يطرد النوم من عينيها المتعبتين. فجأة علا صوت في الخارج أيقظها من غفوتها، سمعت «ديلاني» ينادي كلبه:

– هيا يا«راف»! إلى الداخل! واقترب الصوت من غرفتها ثم

شاهدت الرجل يدخل مع كلبه، فتملكها رعب شديد وبرحت مكانها عاجزة عن القيام بأية حركة. كان «ديلاني» يحمل في يده شيئًا لم تستطع أن تميزه. وقالت لنفسها: «يا إلهي! هل يمكن أن يكون مجرمًا حقًا؟ هل يريد أن يتخلص مني؟» وحاولت أن تحبس أنفاسها لكنها صرخت رغمًا عنها، إلا أن «ديلاني» اقترب من سريرها وأنزل ما كان يحمله ووضعه فوق جسمها المرتجف، كان يحمل سترة من الصوف، أراد أن يحميها بها من البرد القارس، تنفست «أوليفيا» الصعداء وقالت:

– شكرًا يا سيد «ديلاني»، إنك لطيف حقًا. لم يرد على شكرها، بل خرج من الغرفة ولحقه الكلب، فاستسلمت «أوليفيا» للرقاد. عندما استيقظت في الصباح الباكر، كانت حالة الطقس قد ازدادت سوءًا، ولم تنس أن عليها الرحيل، لكن كيف تفعل ذلك في مثل هذا الطقس العاصف؟!

قامت من سريرها ونزلت إلى المطبخ فوجدت أن «ديلاني» قد أشعل نارًا، بعد أن نظف الموقد وأزال الرماد المتراكم فيه، اقتربت من الطاولة فوجدت عليها ثيابها المجففة وفوقها ورقة تركها لها «ديلاني»، وكتب عليها: «تناولي ما تشائين من الطعام. شكرًا لتنظيفك المطبخ. وداعًا. م.د.».

جمعت «أوليفيا» أغراضها، وحملت حقيبتها، وتأهبت للرحيل.

www.rewity.com

كان بودها أن تودع «ديلاني» لكن باب غرفته المقفل ردعها عن المحاولة، فألقت نظرة أخيرة على الكلب، وخرجت بعد أن أغلقت الباب وراءها، وسارت في العاصفة وهي لا تدري إلى أين تذهب، وكأنها تركت الأمر للعاصفة، لكي تحملها حيثما تشاء. وعلى بعد خمسة كيلومترات تقريبًا عن المزرعة شاهدت حانوتًا صغيرًا إلى جانبه مكتب للبريد فدخلت وطلبت مساعدة البائع بعد أن شرحت له أمرها، وأخبرته بأمر سيارتها المعطلة. كان البائع لطيفًا معها وطمأنها قائلا:

– لا تخافي، سوف أحضر مزارعًا يملك جرارًا يجر سيارتك إلى أقرب محطة بنزين، لكن لا أستطيع ذلك الآن، إذ ليس هنالك أي مزارع يقبل الخروج من منزله في مثل هذه العاصفة، خصوصًا وأن أقرب محطة بنزين تبعد أحد عشر كيلومترا تقريبًا من هنا. سألت «أوليفيا» بلهفة:

– وكم ستدوم العاصفة حسب اعتقادك؟

– من الممكن أن تهدأ غدًا.

– قل لي من فضلك يا سيد.. لقد لمحت مزرعة على مقربة من هنا، أتعلم من يقطن فيها؟

– كانت تسكنها عائلة تدعى «آثرلاي»، مات بعض من أفرادها ورحل عنها البعض الآخر، فبقيت المزرعة مهجورة إلى أن جاء

رجل منذ سنة تقريبًا، واتخذ منها بيتًا له يلازمه ليل نهار.

– حسنًا، أشكر لك اهتمامك، سأعود فور هدوء العاصفة، إلى اللقاء.

خرجت «أوليفيا» من الدكان واتجهت إلى منزل صغير تطلب غرفة تقضي فيها الليلة، لكن صاحب المنزل أجابها معتذرًا وقال لها إنه لم يعد يملك غرفًا للإيجار. فشكرته وغادرت المكان دون أن تدري ماذا ستفعل؟ قررت أن ترجع إلى سيارتها، وحين وصلت إليها دخلت، وأدارت جهاز الراديو والدموع تنسكب على وجنتيها الشاحبتين، لماذا تبكي؟ ألم تمح صورة «ديلاني» من ذاكرتها؟ ولم البكاء عليه؟ فهو ليس سوى مجرم بائس. توقفت عن البكاء، وفكرت أن أمامها الآن خيارين... إما أن تبقى مكانها حتى الصباح وإما أن تعود إلى المزرعة وتطلب من «ديلاني» قضاء ليلة أخرى. خرجت من سيارتها، وفيما كانت تقفل أبوابها شعرت بحركة غريبة وراءها. وإذا بـ«راف» يقفز وينبح ويدور حولها دون توقف، ففرحت به كثيرًا وقررت أن تعود برفقته إلى المزرعة. وحين وصلت إليها كان «ديلاني» واقفًا أمام الباب، فسارعت إلى القول:

– لقد عدت يا سيد «ديلاني». فأجابها:

– إذا رفضت أن تدخلي فإن كلبي سيلحق بك وأبقى أنا وحيدًا.

فنظرت «أوليفيا» إلى الكلب وقالت:

– عليَّ أن أرحل يا«راف»، إن معلمك يريد ذلك. واستدارت، لكن

www.rewity.com

صوتًا خلفها صرخ فيها:

– ادخلي يا «أوليفيا».

❊ ❊ ❊ ❊

– 3 –

انغلق الباب، وتلاقت نظرات «أوليفيا» بعيني «ديلاني» وكأنهما يلتقيان للمرة الأولى، ودار حوار صامت بينهما قطعه صوت «أوليفيا» قائلة:

– شكرًا يا سيد «ديلاني». شكرًا لقبولك بقائي. ثم مدت يدها نحوه، تبحث عن يد دافئة تأخذ بها وتضمها، وإذا بيده اليسرى –التي أصيبت بحادث سيارة إصابة بالغة– تلتقط يدها الممدودة، وكأنها تمنعها من مغادرة المكان.

طافت نظراتها حول عينيه الحزينتين وكأنهما معبد قديم هجرته الصلوات، فانقلب نهاره ليلا وليله نهارًا، وها هي «أوليفيا» تطل ومعها بريق حياة شحيح شاحب، خفق قلبها فجذبها «ديلاني» إلى جسمه النحيل الذي احتله المرض، وهمس في أذنها:

– أريدك أن تدفئي جسمي، دعي حرارتك تلفني، علها تبعث فيّ الحياة من جديد، لقد فقدت أشياء كثيرة، وسلبت مني الحياة امرأة دمرت عالمي بأكمله. تسرب كلامه الحزين إلى قلبها، فاغرورقت عيناها بالدموع وانسكبت على يدي «ديلاني»، فضمها إلى صدره حتى كاد يخنق أنفاسها، لكن الرحلة لم تدم طويلا، فقد قطعها صوت «ديلاني» الساخط:

WWW.REWITY.COM

– يا إلهي! لست بحاجة إلى الشفقة! «عن أية شفقة كان يتحدث؟ ماذا يقصد؟ وإلامَ يهدف؟» سألت «أوليفيا» نفسها وهي تجيب:

– ولكنني... ثم توقفت هنيهة وأكملت:

– ولكنني أردت أن... أردت أن تضمني بين ذراعيك، لم يدفعني شعوري بالشفقة للعودة إلى المزرعة. الحاجة كانت هي دافعي الوحيد، لم أجد مكانًا أبيت فيه، على كلّ، أنا متأسفة. لم يسألها عن سبب أسفها ولم يعتذر عن تصرفه الأحمق، وكأنه كان يصر على أن عناقها لم يكن سوى رأفة وشفقة. تركها وسار نحو غرفته، فدخلها وأغلق الباب. عندما غاب أحست «أوليفيا» بحزن عميق يهز كيانها، وملأها فراغ كبير لم يسبق لها أن شعرت بمثله من قبل، أرادت أن تنسى ما حدث وتخلد للنوم حتى ترحل في الصباح الباكر عن تلك المزرعة المشؤومة، فتمالكت أعصابها ودخلت إلى غرفة الموقد فوجدت النار تتأجج فيها، من تراه أشعلها غير السيد «ديلاني»؟

ابتسمت «أوليفيا» وتوجهت لتغتسل في الحمام فوجدت منشفة نظيفة بانتظارها، كان كل شيء يشير إلى أن عودتها كانت مرتقبة. بعد أن انتهت من الاغتسال، راحت تجول في المنزل، زارت الغرف الست المجاورة لغرفتها، ووجدت أن باب الغرفة السادسة كان

موصدًا، فتساءلت أين المفتاح يا ترى؟ لماذا أقفل الباب؟ ماذا يوجد داخل تلك الغرفة؟ أسئلة عديدة تبادرت إلى ذهنها دون أن تجد لها جوابًا. فجأة سمعت خطوات تقترب منها فاستدارت مضطربة ورأت «ماك ديلاني» واقفًا وراءها، سألها بلهجة ساخرة:

– عم تبحثين يا آنسة «بارنز»؟ بم عساك تفكرين؟ أبمحتوى الغرفة؟ هل هذا ما يشغل بالك؟ أجيبيني علني أستطيع مساعدتك! ثم التقط خصلة من شعرها شد بها «أوليفيا» إليه وقال:

– ماذا تعتقدين أنه يوجد فيها غير الأسلحة التي أقتل بها، وكل ما يتعلق بعمليات السلب والنهب والقتل التي أقوم بها؟ أتعلمين ماذا أنوي أن أفعل بك؟

– ولكن...!

– لا!لا! لن يهرع «راف» لنجدتك. لقد حبسته في المطبخ.

– لا أصدقك.

– وهل يعقل هذا؟ لا تعرفين عني شيئًا، بربك أخبريني ما الذي قاله السكان في القرية عني؟ ألم يحذروك من الاقتراب من المزرعة؟ أجيبي! وشد على شعرها فصرخت:

– آه! دعني! إنك تؤلمني! لم تستطع «أوليفيا» أن تحبس دموعها فأجهشت بالبكاء، لكنه تابع عنفه وقال:

– لا يهمني أنك تتألمين، أنت امرأة مثل غيرك. أنت كسائر

النساء.... يأخذن ولا يعطين، وكلما قدمنا لهن، طلبن المزيد.

– إن ما تقوله غير صحيح... لم يدعها تكمل كلامها، شدها إليه ثانية بطريقة أنستها الألم والخوف:

– ماذا تظن أنك فاعل؟

– إني آخذ منك كل ما تقدمينه، لقد عشت مدة طويلة وحيدًا، وبما أني رجل فإني أستفيد من وجود امرأة إلى جانبي، هل لديك أي اعتراض على ذلك؟

– أعترف بأنني لم أستجب لك تمامًا، والسبب في ذلك يعود إلى طريقتك المتوحشة.

– يا إلهي! يبدو أنه ليس لديك أية خبرة على الإطلاق.

– كنت أعتقد أن الرجال يتصرفون بلباقة عندما يغازلون امرأة، لكنك أنت لا تريد مغازلتي.

– أنت على حق. أجابت وقد أغاظها كلامه كثيرًا:

– على كل حال، لن أتزوج إلا برجل يحترم وجودي ومشاعري احترامًا لا تملكه أنت!

– وما أدراك ما أملك؟ قالها بصوت مرتجف، وكأن حمى محرقة قد عصفت بجسمه، ثم تركها ودخل إلى غرفته فلحقت به، لكنه سرعان ما نفر منها وطردها صارخًا:

– لست بحاجة إلى ممرضة.

– أنا أتصرف هكذا مع كل من يحتاج إلى عون، أنت مريض ويجب أن تلزم فراشك.

– أنا أفعل ما أشاء، هلا خرجت من غرفتي؟!

– من غرفتك أم من المنزل؟

– اختاري بنفسك.

– حسنًا، سوف أفعل. قالت «أوليفيا» ذلك وخرجت من غرفته، فتوجهت إلى المطبخ لتعد الطعام. لم تكن جائعة ولكنها رأت أن تعد له حساء ساخنًا يتناوله ساعة خروجه من الغرفة، لكن ساعات طويلة مرت دون أن يبرح غرفته، وحين تعبت «أوليفيا» من الانتظار صعدت إلى غرفتها واندست في الفراش البارد، ولم تكد تخلد للراحة حتى أحست بالكلب «راف» يقترب منها، وكأنه يدعوها إلى أن تلحق به ففعلت.

سارت وراءه وإذا بها أمام «ديلاني»، كان العرق يتصبب من جسده وحرارة جبينه مرتفعة جدًا، وأمام منظره المروع هذا هرولت «أوليفيا» إلى المطبخ فجاءت منه بوعاء ماء، وراحت تبحث في الخزانة عن سترة جديدة، فوجدت قميصًا من الحرير أخذته وعادت به إلى «ديلاني»، حاولت أن تخلع عنه كنزته الصوفية، ثم مسحت عرقه دون أن يستيقظ؛ لأن نومه كان عميقًا بسبب الحمى الشديدة التي تعصف به، كان العرق يتصبب بغزارة من جبينه؛ لذلك

www.rewity.com
مـرمـوريـة

قررت أن تعطيه دواء دون علمه علها تزيل عنه الحرارة، فجاءت بحقيبة يدها، أخرجت الدواء وذوبته في كوب من الماء، ثم رفعت رأس «ديلاني» وبهدوء وخبرة سكبت القطرات بحنان بين شفتيه، وجلست إلى جانبه تراقب أنفاسه طوال الليل فتلمس جبينه؛ لتعرف درجة الحرارة... ثم تعطيه المزيد من الدواء، حين شعرت بتحسن حالته، أغمضت عينيها وحاولت أن تنام قليلا.

عندما استفاقت وجدت نفسها وحيدة في الغرفة، لم يكن «ديلاني» في السرير، راح «راف» يداعب قدميها، لكن معلمه زجره قائلا:

– انزل عن السرير! هيا! نظرت «أوليفيا» إليه فرأته يتأمل الوعاء وكوب الماء وعلبة الدواء، وقبل أن تقول أي شيء قال لها:

– إذن يا عزيزتي، فأنت ممرضة تداوي مريضك في خلال الليل.

– يجب أن تلزم فراشك، ما زلت مريضًا.

– حسنًا سوف أفعل لكن بشرط واحد... أريدك أن تبقي معي.

– كم أنت أحمق! أنا... ولكني... تلعثمت وهي تتابع:

– لقد نمت بجانبك طوال الليل؛ لكي أعتني بك فقط، كيف أعتني بك إن كنت في غرفة أخرى؟ سألها «ديلاني»:

– قولي يا آنسة «بارنز» لماذا تعتنين بي؟ ردت على الفور:

– لأنني أكره أن أرى رجلا يتألم. ثم صمتت وقالت لنفسها: «إن فيك جاذبًا يشدني إليك يا سيد «ديلاني». أنا لا أؤمن بالحب من

أول نظرة ولكني...» وإذا بصوته يقطع تفكيرها ويقول:

– ربما كنت على حق! فأكملت:

– لقد أمضيت الليل كله أراقب تنفسك ودرجة حرارتك بينما أنت نائم تتحدث عن...

– عما تحدثت؟ أجيبيني.

– كنت تتكلم مع امرأة، لم تكن تريدها أن تتركك.

– هل ذكرت اسمها؟

– لا، لم تفعل، لكن لا أفهم كيف مازلت تفكر بها بعد كل الذي فعلته بك؟

– وماذا فعلت بي؟

– فهمت من كلامك يوم البارحة أن تلك المرأة تركتك؛ لأنك تعرضت لحادث سيارة. اندس «ديلاني» في الفراش إلى جانب «أوليفيا» التي حاولت أن تغادره، لكنه منعها وضمها إلى صدره ثم سألها:

– «أوليفيا بارنز»، أتقبلين بي زوجًا لك؟ لم يكن بوسعها أن تجيبه بل اكتفت بقولها:

– أرجوك يا«ماك»، إنك تؤلمني. وعاد «ديلاني» يسألها:

– أيوجد ثمة رجل في حياتك؟ فهزت رأسها مجيبة بالنفي:

– ألديك أقارب؟

WWW.REWITY.COM

– لقد ماتت والدتي منذ بضع سنين، وتزوج والدي بامرأة أخرى، ومن يومها لم أعد أراه إلا نادرًا، عشت عند خالتي المريضة وتركت المدرسة في سن السادسة عشرة؛ لكي أعتني بها وقضيت بجانبها عشر سنوات، لكنها تُوفيت منذ مدة قريبة.

– مازلت أنتظر الإجابة عن سؤالي.

– كيف أتزوج بك وأنا أكاد لا أعرفك؟ حتى إننا لا نحب بعضنا، إن طباعك حقًا غريبة. أشار إلى يده اليسرى وقال:

– أهذا ما يخيفك؟ ولكني أستطيع أن أحبك بيد واحدة. لكنها أبعدته وقالت:

– دعني أفكر على الأقل.

– ولكن يا«أوليفيا» أسأل نفسي. إن كانت لديك أية خبرة في الحب؟

– لا، ليست لدي أي خبرة، كنت تفضل امرأة ذات خبرة، أليس كذلك؟ لم أعد أدري شيئًا. قال بينما أنامله تداعب شعرها وتلمس بشرتها الناعمة:

– ما الذي تجهلينه يا حبيبتي؟ صدقيني، لن تندمي على زواجك بي، لن أجعلك أبدًا تندمين.

لم يكن في حياة «أوليفيا» رجل تحبه، باستثناء «دانيال والتينغ» الذي طلب يدها، كان يحبها ويحترمها، هو مختلف تمامًا عن

«ديلاني»، ولكنه لم يعد يعني لها الكثير، في تلك اللحظة شعرت بأنامل «ديلاني» تدغدغها، فحاولت «أوليفيا» أن تغادر السرير، لكنه أوقفها وسألها:

– إلى أين أنت ذاهبة؟

– ماذا يوجد في تلك الغرفة يا «ماك»؟

– هذا لا يعنيك... ما زلت أنتظر جوابك، أتتزوجينني؟

– فاقتربت «أوليفيا» منه وقالت:

– نعم، سوف أتزوجك...

لم يدعها تنهي كلامها بل ضمها إلى صدره كالمجنون..

* * * * *

www.rewity.com

- 4 -

على الرغم من أن المطر كان ينهمر بغزارة، أصر «راف» على أن يخرج من المنزل، غاب قليلا بين الأشجار التي كانت أغصانها ترتجف من شدة البرد، ثم رجع إلى المنزل فدخل إلى الغرفة يقطر ماء، عندما رأت «أوليفيا» حالته المحزنة جلست تجفف فروته بينما وقف «ديلاني» يحدق إلى الموقد بنظرات شاردة، وحين لاحظت «أوليفيا» انشغال باله قالت له:

– إني أعلم حقيقة ما يشغل بالك، أعتقد أنك تفكر في سني صباي العشر التي قضيتها بجانب خالتي المريضة، ولم أستمتع خلالها بعذوبة الحياة ومباهجها، إنك تتساءل كيف استطعت أن أحرم نفسي من أشياء كثيرة لكي أبقى بقرب سيدة عجوز متطلبة أن أتحمل مشاكلها، وأعتني بها؟ لكن مرضها كان شديدًا ولم يكن لديها أحد غيري، وبالإضافة إلى ذلك كنت أحبها حبًّا كبيرًا.

رد «ديلاني» بعفوية، ومسحة من السخرية تلف نبرات صوته القاسي:

– ربما كانت روح المساعدة عندك هي ميزة طبيعية وعفوية، أصيلة الجذور في أعماق نفسك. وبسرعة أدركت «أوليفيا» قصده، فردت:

– ربما. ثم رمقته بنظرات حنونة قبل أن تدنو لتجلس بالقرب منه.

– إن قلبك يشبه قلب طفل صغير، هل تعلمين ذلك؟ ابتسمت وأجابت:

– ليس قلبي وحده ما يجعلني أشبه بالأطفال. أدرك قصدها فضحك وقال:

– لا تخافي من هذه الناحية! فسوف أتجاهل الأمر حتى يحين الوقت المناسب. فالتقت نظراتهما وضحكا، ثم قاما عن المقعد واتجها معًا إلى المطبخ حيث تناولا طعام الغداء. في ذاك النهار التهم «ماك» طعامه بشهية كبيرة، وما إن انتهى من الأكل حتى استأذن «أوليفيا» قائلا:

– سوف أصعد إلى غرفتي لأنام قليلا بعد الغداء، أرجوك أن توقظيني قبل موعد طعام العشاء. كانت تفضل أن يبقى إلى جانبها، لكنها فهمت حاجته إلى الراحة وأجابت:

– حسنًا! إلى اللقاء. تركته يصعد درجات السلم، وبقيت وحيدة تنظف المطبخ وتعيد ترتيب محتوياته، لم تشعر بالوقت يمر بسرعة وهي تعمل بكد وتعب، وحين شارفت الشمس على المغيب واضمحلّ النور في المطبخ، كانت قد انتهت من العمل فأسرعت إلى الحمام؛ لتغتسل قبل أن ترتدي ثوب النوم، كان التعب والإرهاق قد أضنيا

جسمها النحيل فتمنت أن تخلد للنوم، لكنها قبل ذلك فضلت أن تعد طعام العشاء، وأن توقظ «ديلاني» فور خروجها من الحمام، وما إن خرجت منه حتى فوجئت به ينتظرها عند أسفل الدرج، فقالت والدهشة تملأ عينيها:

– تبدو الآن بحالة جيدة! فابتسم وأجاب:

– شكرًا. إن الفضل يرجع إلى ممرضتي النشيطة. تقدمت منه قليلا وهي تتوقع أن يقبلها لكنه لم يفعل، بل تابع كلامه قائلا:

– أعتقد أنك تودين مشاطرتي فراشي، أليس كذلك؟ على كلٍّ ليس لدي أي مانع، على النقيض إنني أرحب بك عن طيب خاطر، وأعدك بأن أحتفظ بيدي، أعني بيدي لنفسي، لن أزعجك أبدًا فيما لو شاركتني سريري. توقف عن الكلام لحظة ثم أكمل:

– أؤكد لك أنك لن تزعجيني أبدًا. لم تبخل «أوليفيا» عليه ببسمة ساخرة توازي نبرات صوته المتهكمة، ثم أجابت:

– إني أشكر لك ترحيبك الحار بي، ولكني في الواقع أفضل أن أنام في الغرفة المجاورة. حاول «ماك» أن يقنعها بشتى الوسائل لكن دعوته لم تلق غير الرفض القاطع، فسألها:

– ألا تثقين بي؟ أنسيت أننا على وشك الزواج؟ لكن «أوليفيا» اكتفت بالصمت وأدارت له ظهرها، ثم توجهت نحو غرفتها.

كان المساء عاديًا، تهزه الأمطار وتمزق العواصف أغصان الشجر.

وانعكس الجو العاصف على سهرتهما فأوى كل منهما إلى فراشه باكرًا، سرعان ما ارتمت «أوليفيا» في أحضان الليل بينما ظل «ديلاني» ساهرًا في سريره، فأمسى وكأن الغيرة قد دبت فيه، وبات يحسد الليل الذي يلف حبيبته، حاول مرات عديدة أن يذهب إليها ويطرد النوم من فراشها، لكنه بعد تردد وصراع تغلب عليه النعاس فغفا عند منتصف الليل. طلع الصباح رويدًا رويدًا وكأنه يخاف أن يطل مرة واحدة، وفرش ثوبه المبلل بالندى على الأرض الغارقة في النوم، وما إن لمست القطرات الرطبة وجه الأرض حتى أفاقت الطبيعة، وصحا النهار وغردت الطيور، فاستيقظت «أوليفيا» وتبعها «ماك»، قصد كل منهما المطبخ وكأنهما تواعدا بالأمس على أن يلتقيا هناك. فاقترب «ماك» من «أوليفيا» حاملا علبة مخملية صغيرة، وحين كاد يلامس جسمها توقف وفتح العلبة، ثم أخرج منها خاتمًا وقدمه لها قائلا:

– لم أشتر هذا الخاتم لك بل كنت اشتريته لامرأة أخرى، أرجو أن ينال إعجابك. جربيه! هل يلائم إصبعك؟ وبعد أن لبسته سألها:

– هل أعجبك يا حبيبتي؟ ترددت «أوليفيا» بعض الشيء، ولكنها ردت بصدق:

– إني بكل صراحة أفضل أن يكون خاتمًا بسيطًا، فالخاتم الذهبي لا يعني لي الشيء الكثير. أعجبه صدقها ولفتت بساطتها نظره،

www.rewity.com

فقال مبتسمًا:

- حسنًا يا شريكتي، إنني أوافق ذوقك الرفيع. وبعد أن صمت قليلا أكمل كلامه:

- بالمناسبة لقد صممت على الخروج، سوف أركب اليوم القطار، فهو يمر من هنا كل ثلاثة أيام تقريبًا، أريد أن أذهب إلى المدينة، عليَّ القيام ببعض الأعمال، لن أتأخر. كان بودها أن ترافقه إلى المدينة، لكنها سرعان ما أدركت أنه يفضل أن يذهب بمفرده، فقالت له:

- حسنًا يا حبيبي. أتمنى لك رحلة موفقة، لكني أرجوك ألا تتأخر، فأنا بانتظارك. التفت إلى كلبه قائلا:

- «راف»! أرجو أن تقوم بواجبك على أتم وجه، إياك أن تعصي أوامر السيدة! مفهوم؟! فنبح الكلب وكأنه فهم أوامر معلمه ولحق به إلى الخارج.

ذهب «ديلاني» وبقيت «أوليفيا» وحيدة في ذلك البيت المهجور، وللمرة الأولى بدا لها البيت خاليًا وكأن الموت اجتاح أرجاءه، وأحسَّت بالفراغ عندما اشتد البرد، فمكثت حزينة في غرفتها الموحشة تنتظر عودة حبيبها، كانت قلقة، لذلك راحت تلوم نفسها؛ لأنها لم تسأله عن ساعة رجوعه، أحست وكأن الوقت يريد أن ينتقم من شوقها، فتوقف عن السير وتوقفت معه الثواني

والدقائق، لم تكن تعرف من قبل هذا الحب الذي يختلج الآن في داخلها، وكأن الحب لا يعرف عمقه إلا ساعة الفراق، الفراق! يا إلهي! ماذا تفعل إذا لم يرجع إليها؟ أهو حقا ذاهب إلى المدينة؟ أم أنه اختلق عذرًا ليتخلص من وجودها وتركها ضحية العاصفة والقلق والشوق والخوف؟ أرادت «أوليفيا» أن تهرب من تلك الأسئلة السوداء، فأسرعت إلى جهاز الراديو، وأدارته علها تسمع بعض الموسيقى التي تنسيها وحدتها، وتؤنس وحشتها، وتشغلها عن التفكير في الرجل الغائب، وخطفتها الموسيقى لدرجة أنها لم تسمع صرير الباب وهو يُفْتَح ولم تنتبه لدعسات «ماك» وهو يقترب منها ويقول:

- مرحبًا. فارتعبت؛ لأنها فوجئت بعودته، وكأنها كانت واثقة بأنه لن يعود فقالت:

- هذا أنت؟ لقد أخفتني! ثم نظرت إلى ساعة يدها وقالت:

- لقد تأخرت كثيرًا يا «ماك». كنت خائفة من... ولكنها لم تفصح عن مشاعرها فسكتت، وكأن حنجرتها حبست الكلمات التي ماتت قبل أن تولد. فاقترب «ماك» منها وسألها:

- ومم الخوف يا عزيزتي؟ لم تجد ما تقوله ثم خطرت ببالها حالته الصحية فقالت:

- إن صحتك لم تكن جيدة هذا الصباح، كنت أخشى من أن تسبب

www.rewity.com

لك ذراعك اليسرى مشكلة، لقد أثرت فيه هذه الحجة لاسيما أن الكلام عن يده اليسرى يزعجه كثيرًا، ويثير في داخله ثورة غضب واشمئزاز، فصرخ فجأة:

– اللعنة عليها! لتذهب يدي اليسرى إلى الجحيم! تبًّا لك ولها! أطفئي جهاز الراديو على الفور! لم تفهم «أوليفيا» سبب غضبه المفاجئ فأجابت:

– ولكني أستمع إلى الموسيقى الكلاسيكية، ألا تحبها؟ كنت دائمًا أسهر بالقرب من خالتي المريضة وأنا أستمع إلى الموسيقى الكلاسيكية التي كان يعزفها عازف شهير لا أظنه بغريب عنك. ثم نظرت إليه وقد فاجأها منظره، فبدا شكله مختلفًا بعد أن قص شعره وحلق لحيته، وعلى الرغم من دهشتها لصورته الجديدة أكملت قائلة:

– لا أعتقد أنك تجهل عمن أتكلم، اسمع! اسمع كم هو ماهر في العزف، إنه الموسيقار المفضل لديّ، أظنك سمعته يعزف مرات عديدة في حفلات مختلفة وكثيرة، واسمه «كونال»، لقد علقت صورته على جدار غرفتي. وتطلعت «أوليفيا» إلى وجهه فرأت شرارة في عينيه وسألته متعجبة:

– لم أنت غاضب؟ هل أنت زوج غيور؟ فأدار «ديلاني» ظهره، وخرج من الغرفة دون أن يجيب عن سؤالها. عندها نظرت «أوليفيا»

إلى «راف» وقالت بصوت كئيب:

– كنت أنتظره بلهفة وشوق طوال النهار، وها هو يعود حاملا معه الغضب، وبدلا من أن نتعانق تشاجرنا وتخاصمنا، أتراه يحبني يا «راف»؟ أهو حقًّا يغار عليّ؟ أم أنه... ثم أجهشت بالبكاء. ووسط تقطر الدموع راحت تطرح على نفسها أسئلة وأسئلة.. لماذا لم يجبني بحنان ساعة أن دخل؟ لماذا لم يقبلني؟ لماذا قضى طوال النهار وحيدًا في غرفته؟ ثم لماذا قصد المدينة؟

جاء المساء ولكنه لم يحمل معه الأجوبة التي كانت تشغل بال «أوليفيا»، وحين التقت به رأت أنه عاد ليرتدي سترته الرثة القديمة التي كان يلبسها يوم لقائهما الأول فقالت له:

– لماذا ترتدي هذه السترة الممزقة ولديك الكثير من الثياب الجديدة؟! اخلعها عنك وهاتها لأخيطها لك. فنظر إليها والغضب لا يزال في عينيه وقال:

– الشفقة والرأفة مرة أخرى! لقد سبق أن قلت لك إنني أكره الإشفاق، وأرفض رفضًا قاطعًا أن يرأف أحد بي حتى ولو كان أنت. عبثًا حاولت أن تقنعه بحقيقة شعورها الكبير وقوة حبها، لكنه أصر على أنها لا تكن له غير الشفقة، فقالت له بعد أن تعبت من إقناعه:

– لا! إنك حقًّا حاقد قاس، إن خالتي على الرغم من ثرائها كانت

www.rewity.com

توفر مالها دون أن تشتري ثيابًا جديدة؛ لذا كنت أخيط لها الثياب بنفسي، فكما ترى لقد اعتدت ذلك، ولم أكن أفعل أي شيء لها بدافع من الشفقة. لم يشأ «ماك» أن يزيد من حدة المناقشة، وقد أدرك أنه هو الذي بالغ منذ البداية وأن «أوليفيا» ربما كانت على حق، فقاطعها واقترب منها ثم أخذ بيدها وقال:

– لقد تذكرت الآن أننا سوف نتزوج غدًا. وتابع كلامه دون أن يدعها تبدي أي رأي:

– ذهبت إلى المدينة من أجل هذا الغرض، سوف يكون زواجنا زواجًا مدنيا، أعني ستحل دائرة سجل النفوس مكان الكنيسة، أتمنى ألا يكون لديك أي اعتراض على ذلك، وألا يشكل ذلك حجر عثرة لزواجنا. فأجابت «أوليفيا» بشيء من اللامبالاة:

– لا، ليس عندي أي اعتراض على ذلك. عندها أضاف «ديلاني» قائلا:

– لقد حجزت سيارة؛ لتنقلنا إلى هناك في الساعة الحادية عشرة. ثم خطا خطوة نحوها وقال:

– لقد اشتريت خاتمًا جديدًا، أرجو أن ينال إعجابك. لكن «أوليفيا» تجاهلت أمر الخاتم وسألته:

– ماذا بشأن الشهود؟ أليس لديك أقارب يا «ماك»؟ فطمأنها «ماك» قائلاً:

– لا تخافي... سوف نجد شاهدين، أما فيما يتعلق بالأقارب فقد توفي والدي منذ زمن بعيد، وكان من أصل أيرلندي، وبعد موته غادرت أمي البلاد ورحلت إلى «أستراليا»، سافرت إليها لتزور بعض الأقارب. ثم حدق إلى عينيها وقال بلهجة ساخرة:

– إننا نشبه بعضنا كثيرًا من هذه الناحية، فكلانا بلا عمل وبلا أقارب.لم تبتسم «أوليفيا»، وفكرت بالأشياء الكثيرة التي تجهلها عن عريسها، كما أنه بدوره كان يجهل الكثير عن حياتها، فهي لم تذكر له الثروة الكبيرة التي ورثتها عن خالتها، ولم تحدثه عن البيت الكبير عند الساحل الجنوبي، وسبب ذلك أن «ماك» لم يسألها يومًا عن حياتها ولم يهتم بهذه الناحية، والآن لم تعد تجرؤ على أن تخبره بكل ذلك بعد أن سمعته يتكلم عن حياتهما المتشابهتين وبأنهما عاطلان عن العمل، ولكنها في تلك اللحظة تذكرت قمصان الحرير المعلقة في خزانته وتساءلت... «كيف اشتراها؟ من أين له المال؟» فقطع «ماك» شرودها وسألها:

– ماذا سترتدين غدًا؟ هل عندك ثياب ملائمة؟ انتظرت دقائق قبل أن تجيبه:

– طبعًا، لا تنس أني كنت أقوم برحلة عطلة طويلة ومعي حقائب مليئة بالثياب وبما قد أحتاج إليه، وماذا سترتدي أنت غدًا؟ ليس عندي أي مانع فيما لو ارتديت بنطلون الجينز. فضحك «ديلاني»

www.rewity.com

من سخريتها وقال:

– أيتها الكاذبة! لا أظنك تقبلين أن أرتدي هذه الثياب يوم زفافنا! فتلاقت ضحكتهما ودخل كل واحد منهما إلى غرفته، ليرتب أغراضه استعدادًا لاستقبال يوم الغد الذي قد يكون من أحلى أيام الحياة، بل ربما كان أجمل يوم في الحياة.

في المساء تلاقى الحبيبان وتناولا طعام العشاء، حاولت «أوليفيا» عدة مرات أن تتكلم ولكنها ترددت، وآثرت الصمت، فسألها «ديلاني»:

– ما بالك صامتة؟ في عينيك كلام، فلم لا تنطقين به؟ ماذا يدور في ذهنك يا «أوليفيا»؟

– «ماك»! هل تعتقد حقًا أننا نقوم بعمل عاقل ونسير على الطريق الصحيح؟ لم يجبها واكتفى بأن طبع قبلة حارة على شعرها، لكن «أوليفيا» أصرت على سؤالها فعادت وقالت:

– هل تعتقد أن ما نقوم به هو عين الصواب؟ تطلع «ماك» إلى عينيها واكتفى بالصمت مرة أخرى، وكأنه يقر بأن قرارهما صحيح، فشعرت «أوليفيا» بشيء من الحزن لكنها كبحت عواطفها.

بعد العشاء عاد كل منهما إلى غرفته ينتظر طلوع نهار الغد بشوق وبفارغ الصبر، لكنهما عبثًا حاولا النوم. وعندما عجز «ديلاني» عن الرقاد نهض من فراشه، وقصد غرفة «أوليفيا»، فقالت له

متعجبة:

– «ماك»؟! هذا أنت؟! أنا، أنا.. لكنه لم يدعها تكمل كلامها بل قاطعها قائلا:

– جئت أقول لك إني ملأت خزان سيارتك بالوقود، أنت حرة الآن، تستطيعين أن ترحلي إذا شئت. ولكنها اعترضت على كلامه وردت بنبرة جازمة:

– لكنني لا أريد أن أرحل عنك يا «ماك»، أريد أن أبقى بجانبك مدى الحياة. ثم دنت منه ورمقته بنظرة مشحونة بالحنان والشوق تتوسل إليه أن يضمها إلى صدره، لكنه اكتفى بأن طبع قبلة على جبينها وقال:

– حسنًا! والآن أتمنى لك أحلامًا سعيدة. وخرج. عن أية أحلام كان يتكلم؟ فهذه الليلة تختلف تمامًا عن كل ليالي حياتها، إنها حلم حياتها، وراحت وهي عاجزة عن النوم تنتظر الفجر... وتنتظر الحب يضمها إلى الأبد. وطلع النور وأطل الفجر يحمل معه نهارًا جديدًا، واقتربت الساعة المنتظرة فهيأت «أوليفيا» نفسها، وارتدت فستانًا أبيض، وما لبث «ماك» أن وافاها إلى الغرفة، فنظر كل منهما إلى الآخر مبتسمًا بسمة حياء وحب، وحين وصلت السيارة المستأجرة وتوقفت أمام مدخل المزرعة خرج الاثنان من البيت، وجلسا في المقعد الخلفي فتوجه بهما السائق إلى دائرة

سجل النفوس، فور وصولهما تقدم إليهما شاب وسيم وقال:

– اسمي «بيتر إيفنس»، يشرفني أن أكون أحد الشاهدين على زواجكما. وأضاف:

– هذا طبعًا إذا كنتما بحاجة إلى شاهد. فابتسمت «أوليفيا» بينما راح «ديلاني» ينظر متعجبًا إلى الشاب الغريب ثم قال له:

– نحن بحاجة إلى شاهدين، ونرحب بك كشاهد على زواجنا. دخل الثلاثة المكتب حيث تجري المعاملات الرسمية، فوجدا شاهدًا آخر وبدأت مراسيم الزفاف.

شعرت «أوليفيا» وكأنها في حلم جميل، لكن حركة «ماك» المفاجئة أعادتها إلى عالم اليقظة، فحدقت إلى عينيه وقبلته بنظرة حنان بينما القاضي يسأل «ديلاني»... لكنهما لم يسمعا إلا الشطر الثاني من السؤال القائل:

– ...هل تريد «أوليفيا سارة بارنز» زوجة لك....؟ لم يدعه «ماك» يكمل السؤال فرد بحماس:

– أنا «ماكير كونال ديلاني» أقبل «أوليفيا بارنز» زوجة لي. وحين سئلت «أوليفيا» بدورها أجابت:

– أنا «أوليفيا سارة بارنز» أقبل «ماكير كونال ديلاني» زوجًا لي. وسمعت «أوليفيا» نفسها تردد اسمًا تعرفه حق المعرفة، لم يكن بغريب عنها أبدًا، «ماكير كونال ديلاني». يا إلهي! «ماكير كونال

ديلاني»! لم تعد قادرة أن تقف على قدميها، وتمنت أن تنتهي حفلة الزفاف بأسرع وقت ممكن... لكن «إيفنس» استوقفهما ليأخذ لهما الصور التذكارية، وقال:

– فور حصولي على هذه الصور سوف أبعث بها إليكما. أرجو أن تعطياني العنوان المناسب. وبعد أن حصل على عنوان المزرعة ودعهما، وتمنى لهما زواجًا سعيدًا وشهر عسلٍ جميلا وسعيدًا... ثم توجه العريسان إلى مطعم أنيق حيث تناولا طعام الغداء، وعندما دخلا إلى المكان دهشت العروس وقالت لزوجها:

– ولكن يا «ماك» إن الطعام في هذا المطعم غال جدًّا. هل لدينا ما يكفي من المال؟ ثم إنني.. إنني... فقال «ماك» عندها:

– أعرف ما تودين قوله، وأعتقد أنك أصبحت تعرفين هويتي وشخصيتي الحقيقية، نعم أنا «ماكير كونال ديلاني» عازف البيان الشهير أو الموسيقار المفضل لديك، والذي علقت صورته على جدار غرفتك، وكما تعلمين أنني رجل ثري وبإمكاني أن أشتري المطعم بأكمله لو أردت، تعلمين كذلك أنه لم يبق لي سوى الأسطوانات والمال. لم تعلق «أوليفيا» على كلام زوجها واكتفت بقولها:

– لا تنس يا «ماك» أنني أنا أيضًا لك إلى جانب أسطواناتك ومالك. فأخذ «ماك» بيد «أوليفيا» وقبلها، ثم شربا نخب المستقبل السعيد، وفي نهاية الغداء قدم «ديلاني» إلى زوجته خاتمًا من الألماس والذهب

WWW.REWITY.COM

عربون محبة مخلصة وصادقة، فسألته «أوليفيا»:

– لماذا توقفت عن العزف على البيان؟ أعلم أن يدك اليسرى أصيبت بحادث سيارة، ولكن بوسعك أن تعالجها على ما أعتقد، فالجمهور يتشوق إلى سماعك من جديد. أجابها «ديلاني»:

– أعتذر لما سأقوله، ولكنني يا عزيزتي لا أعزف من أجل إرضاء الجمهور، بل أعزف لأعبر عما يختلج في أعماق نفسي. لم تصر «أوليفيا» على موضوع العزف، بل حاولت أن تبدل وجه الحوار وقالت:

– حين أفكر بما أخبرتني عن جرائمك... أضحك. فسألها «ماك»:

– ولكن ألم أخفك في البداية حين أخبرتك ذلك؟ ولماذا بقيت في المزرعة؟ لم تكن بحاجة إلى الإجابة، فهو يعلم سبب بقائها بقربه، وإلا ما كانت الآن بجانبه، وما كان ليطرح عليها هذا السؤال، فتنهدت وقالت:

– إني مرهقة وأود لو نذهب الآن إلى البيت. فوافقها «ماك» لكنه وضع شرطًا لذهابه، إذ قال:

– لكني أحذرك من الآن. اعلمي أنك سوف تمضين لياليك في غرفتي، إن كان لديك أي اعتراض فأخبريني فورًا. فاحمرت وجنتاها خجلا وهمست قائلة:

– اخفض صوتك، قد يسمعنا أحد. ولكن «ديلاني» ضحك وقال:

– لا يهمني أمر الآخرين على الإطلاق. ثم خرجا من المطعم وتوجها إلى المزرعة حيث كان «راف» ينتظر وصولهما، وقبل أن يدخلا قال «ماك» فجأة:

– أعتقد أنك لا تحبينني. فأجابت «أوليفيا» بلهجة ساخرة:

– إذن فلم تزوجتك؟ كان لسؤالها وقع كبير على نفس «ماك» الذي سألها والغيرة تلهب عينيه:

– هلا أجبت بنفسك عن هذا السؤال؟ أدركت «أوليفيا» غيرة الزوج وأجابت مطمئنة إياه:

– لأنني أحبك طبعًا. تلك اللحظة شعرت «أوليفيا» أن الغيرة انطفأت في عينيه، واشتعلت نيران الشوق. وقال:

– أنت كاذبة! إني لا أصدق ما تقولينه. ولكنه في الحقيقة كان يصدق شعور حبيبته المخلص فأمسك بيدها ودخلا معًا المنزل.

* * * * *

www.rewity.com

- 5 -

بينما كانت «أوليفيا» تعدّ طعام العشاء، عرض عليها «ماك» المساعدة وألحّ قائلا:

- إنني أصرّ على مساعدتك، قد أكون بطيئًا بعض الشيء، ولكننا لسنا على عجلة من أمرنا. فنظرت «أوليفيا» إلى ذراعه اليسرى وقالت:

- ولكن ذراعك يا «ماك»... فرد بسرعة:

- أريد أن أمرّنها على الحركة. سألته واللهفة تلهب عينيها:

- لماذا يا «ماك»؟ فأجاب بابتسامة مصطنعة وكأنه أدرك قصدها:

- كي أتمكن من أن أغازلك، وأن أحبك بطريقة أجمل وأفضل، ثم جذبها إليه بحركة رشيقة، وقبّل خدّها الأرجواني، لكن «أوليفيا» لم تفكّر بالقبلة بل بيده التي كانت تقلقها فسألته:

- «ماك»! أليس من علاج ناجع تداوي به ذراعك؟

- لا تجزعي، لن تكون حاجزًا بينك وبيني، وكفيّ عن التفكير في ذلك، ألا يشغل بالك غير ذراعي؟ فأجابته بلهفة:

- ولكن يا «ماك» إن هذا الأمر لا يزعجني إطلاقًا، إنما.. إنما كنت أقصد موسيقاك ومهنتك، إن مستقبلك هو الذي يقلقني، أنت لا تقوم بأي جهد لاستعادته، وكأنك تريد أن تثير شفقة الجمهور

على حالتك هذه. لم يتحمل «ماك» كلام زوجته فصاح قائلا:

- فلقد تزوجتني إذن بداعي الشفقة! كلما أرادت أن تعبّر له عن حقيقة مشاعرها اتّهمها بالرأفة والشفقة. أجابت:

- لا يا «ماك»! لقد أسأت فهمي مرة أخرى، إنك تتكلم دائمًا عن الشفقة و... فقاطعها:

- فهمت الآن سبب زواجك بي، إذن لم يكن بدافع الشفقة كما تقولين، فهو بدافع من... لا أعرف ما هذا الشعور أو بأية صفة أنعته، على كل حال، إن كل ما أعرفه هو أنني أذكّرك بالعازف الشهير الذي مازالت صورته معلّقة في غرفتك ومطبوعة في ذهنك، ولكن هذا الإنسان للأسف مات منذ زمن بعيد، لقد زال من الوجود يا عزيزتي وأنا أختلف عنه تمام الاختلاف! أختلف عنه تمام الاختلاف! لقد مات! مات! صرخت «أوليفيا»:

- أرجوك أن تسكت وأن تكفّ عن تعذيبي. ولكنه تابع قائلا:

- أنت يا «أوليفيا» لا تحبين الرجل الحاضر أمامك الآن، إنك تحبّين العازف الشهير، وإنك تحاولين جاهدة وعبثًا إحياءه في شخصي، لكنه مات ومزقه الموت إربًا ونخرت الديدان عظامه فجعلته مجرّد تمثال للذكريات، لن تلتقيه أبدًا أبدًا! فأجهشت «أوليفيا» بالبكاء وعلا صوت نحيبها وهي تقول:

- كيف تجرؤ على أن تخاطبني بهذه اللهجة، وبأي حق تقول ما

www.rewity.com

قلته؟ أنسيت أني أصبحت زوجتك أم أنك لم تعتد بعد وجودي؟ أنسيت أن الموسيقى هي العالم الوحيد الذي تحيا به وتعيش من أجله؟ إنني مستعدة لأن أضحي بحياتي كلّها كي أعيدك إلى عالمك الجميل. وأمام دموعها الساخنة وشعورها الجارف... أدار «ماك» وجهه غاضبًا ثم خرج من الغرفة وراح ينادي «راف»، بينما بقيت «أوليفيا» وحيدة تخلع ثيابها وتضع قميص النوم وهي تقول لنفسها: «يا إلهي! أتراه سيعود إليّ؟ كم أنا تعيسة في ليلة زفافي الأولى!» ولكن «ماك» لم يكن قاسيًا إلى هذه الدرجة، فهو يحبّها حبًّا كبيرًا ولا يريد إيذاءها. رجع بعد قليل إلى الغرفة حيث كانت تنتظره «أوليفيا» بشوق ولهفة، دخل وهو يهمس باسم حبيبته:

– «أوليفيا»! «أوليفيا»! أراد أن يعتذر لها عن تصرّفه الأحمق، ولكنها لم تدعه يكمل نداءه فركعت ليضمّها إلى صدره وقالت:

– سامحني يا «ماك»، أما زلت غاضبًا مني؟ فابتسم «ماك» وقال:

– كان عليَّ أن أعتذر إليك بنفسي! دعينا ننسَ الأمر ونطوِ الصفحة!

ثم سار بها إلى غرفته قائلا:

– تعالي يا حبيبتي! دعينا نفتح صفحة جديدة. وسألها:

– هل أعجبتك الهدية؟ أعني الخاتم الذي قدّمته لك. فأجابت والفرح يغمر قلبها:

– طبعًا يا حبيبي. كل ما تقدّمه لي رائع. حدّق «ماك» إلى عينيها وقال:

– إذن، فعليك أن تقدّمي بدورك هدية أخرى بالمقابل، وكم أتمنى أن تكوني أنت الهدية! لم يكن طلبه أمنية بالنسبة إلى «أوليفيا» التي كانت تنتظر لكي تهب حياتها كلها لحبيبها، فهمست في أذنه:

– أنا لك يا حبيبي! أنا لك! خذني إلى حيث تشاء، فأنا من الآن ملك لك. لم ينتظر «ماك» أن تقولها مرة ثانية فأخذ زوجته إلى حيثما شاء، إلى عالم الحب الجميل الذي لا يعرف حاجزا ولا حدودًا، وظلّ يردد اسمها وأصداء الليل تردد معه:

– حبيبتي... حبيبتي... حبيبتي.

وعندما استيقظت «أوليفيا» في الصباح الباكر، كانت المزرعة غارقة في السكينة بينما الطبيعة في الخارج تعزف سمفونية الحب للزوجين السعيدين. كل شيء يبدو جميلا فاتنًا، وسعادتها في تلك اللحظات تفوق سعادة الأم بمولودها الجديد، وفرحة الطفل بحنان أمّه. قبل أن تلتقي حبيب العمر كانت أشبه بنهر جاف أو وردة ذابلة، أو شمس غاربة. وكان «ماك» قبل مجيء «أوليفيا»، أشبه بطفل فقد أمّه أو بنجمة رحل عنها البريق أو بزهرة أضاعت عبيرها، لقد خلقت لتكون له وخلق ليكون لها، كانت ولادتهما مرتبطة

www.rewity.com

متشابكة، لا معنى لبقاء الواحد منهما دون بقاء الآخر، كانت هي البحر وكان هو الموج، كانت الصوت وكان الحنجرة، كانت الحياة وكان الأمل، كانت الموسيقى وهو العازف، وعقب الليل نهار ساكن وهادئ، مفعم بالحب، لم تفارق خلاله يدا «أوليفيا» يدي «ديلاني»، ثم أقبل المساء حاملا معه المزيد من الهيام والعشق.

ألقت «أوليفيا» رأسها على كتف حبيبها، وأمست تفكّر بماضيه وبالمرأة التي أحبّها قبل أن يتزوجها، وبدا لهما زواجهما حلمًا، لا بل وهمًا أو ضربا من الخيال يفوق تصوّر إنسان عادي، كان أسمى من كل شيء. كان أجمل حدث اعترض حياتها، وكان «ديلاني» من جهته، يفكر في حياة زوجته الماضية، وراح يطرح عليها أسئلة عديدة:

– أخبريني عن حياتك السابقة يا آنسة «أوليفيا بارنز». فأجابت ببطء:

– سيدة «أوليفيا ديلاني»، من فضلك. فضحك ثم سألها:

– ألم يكن في حياتك رجل آخر؟ انتظرت «أوليفيا» قليلا قبل أن تجيبه:

– طبعًا! كنت أعرف رجلا طيبًا، كان يحبني كثيرًا وما زال، ولكن علاقتي به كانت بريئة وسطحية. بدا «ماك» مهتمًا بأمر ذلك الرجل فسألها:

– هل طلب مرة يدك للزواج؟ فضحكت «أوليفيا» عندما رأت فضول زوجها المتزايد، وأجابت بشيء من الكبرياء:

– طبعًا! لقد طلب أن يتزوج بي مرات عديدة وكثيرة، ولكني رفضت منذ البداية. توقفت عن الكلام ثم أضافت قائلة:

– أعتقد أنني لم أكن أحبّه كثيرًا. عندها سألها «ماك»:

– كيف تزوجتني وأنت بالكاد تعرفينني؟ إنك تجهلين أمورًا كثيرة عن حياتي. لكن «أوليفيا» لم تعد ترغب في متابعة الحديث، فأخذت يد حبيبها وراحت تتأملها بدقة، كانت تتخيّلها وهي تعزف برشاقة، ولكن عن أية رشاقة تتكلم بعد الحادث الذي أصابها! فجأة نزع «ماك» يده من بين يديها بعد أن أدرك حقيقة ما تبادر إلى ذهنها وقال:

– لا تطلبي مني أن... فتابعت «أوليفيا» ما كان ينوي أن يقوله:

– أن أراها تعزف من جديد؟ طبعًا لن أطلب منك ذلك. كان بودّه أن تطلب منه شيئًا آخر، لكنها لم تفعل وتركته يخمّن وحده، فاقترب منها وأمطرها حنانًا، وكانت «أوليفيا» نبعًا لا ينضب وفي نفس زوجها ظمأ لا يرتوي، وتمنى كل منهما أن تتوقف عقارب الساعة عن الحركة، ولكن الوقت يمر بسرعة، الوقت لا يرحم بل يخطف من الآخرين كل ثانية، لقد طرد الليل من المزرعة فتلاشى الظلام، وطلع الفجر من وراء الجبال والحبيبان غارقان في نبع الحب،

قرّرت «أوليفيا» في ذلك اليوم أن تنظف المنزل، وانصرف «ماك» إلى أعمال كان قد أهملها منذ وقت طويل، بينما راح «راف» يتنقّل بين الاثنين، فكان تارة يلحق بـ«أوليفيا» أينما ذهبت وطورًا يبحث عن معلّمه. وحين أشرفت «أوليفيا» على الانتهاء من التنظيف والترتيب وجدت نفسها أمام باب الغرفة المقفلة التي طالما شغلت بالها، وفوجئت حين رأت المفتاح فيها للمرة الأولى، ولشدة دهشتها سمع «ماك» صوتها وظنّ أنها تعرّضت لمكروه ما فلحق بها، وحين وجدها تحدّق إلى مفتاح الغرفة راح يراقبها عن كثب. توقفت «أوليفيا» للحظات تسأل نفسها عن سبب وجود المفتاح، هل كان «ماك» يقصد أن تفتحه وتدخل إلى الغرفة؟ هل رأى أنه لم يعد بحاجة لحجب أي سرّ عنها طالما أصبحت زوجته الشرعية؟ وبعد تردّد وتفكير قررت أن تفتح الباب، ففعلت ودخلت الغرفة الغامضة، بدت لها الغرفة للوهلة الأولى وكأنها مجرّد مكتب عادي لا يتعدّى محتواها... الطاولة والكرسي والمرآة، ثم اكتشفت في إحدى زوايا الغرفة جهازًا موسيقيًّا حديثًا تكدّست إلى جانبه أسطوانات عديدة، كانت إحدى الأسطوانات على الطاولة، وكان على غلافها صورة «ماكير كونال» عازفًا على البيان، فأمسكت «أوليفيا» بقصاصات جريدة كانت ملقاة على طرف الطاولة، وشرعت تتصفّحها وإذا بها ترى صورة زوجها وإلى جانبه امرأة لم يكن وجهها بغريب عنها؛

لأنها كانت شهيرة في عالم الموسيقى، وفي أسفل الصورة قرأت... «تربط العازفين الشهيرين علاقة صداقة متينة وحميمة، وقد تسرّب نبأ مشروع زواجهما في المستقبل القريب».

كان اسم تلك المرأة «أنيتا برامبلا»، وضعت «أوليفيا» الجريدة على الطاولة، وأخذت قصاصة أخرى تروي قصة الحادث الذي وقع لـ«ماك»، وقرأت... «إن خطيبته تركته بعد الحادث من أجل رجل آخر، لم يُعرف سبب الحادث الحقيقي؛ لأن «كونال» رفض الإدلاء بأي تعليق، ولكنه علم من مصدر موثوق به بأن السبب يعود للخلاف الذي نشأ بينه وبين خطيبته قبل ثلاثة أيام من موعد زفافهما». ونقل المقال عن لسان «كونال»: «لن أتزوّج أبدًا، لن تستطيع أية امرأة أن تمسّ مشاعري». وبينما كانت «أوليفيا» مسترسلة في القراءة دخل «ماك» فجأة وقال:

– كنت متأكدًا من أنني سأجدك هنا بالذات. فأسرعت «أوليفيا» وأجابت:

– ولكني وجدت المفتاح في الباب و... فأكمل «ماك» قائلا بشيء من السخرية:

– ولم تستطيعي مقاومة الرغبة. حدّقت «أوليفيا» إلى وجهه، وأدهشتها نظراته. لم يعد ذاك الحبيب الحنون الذي عرفته منذ مدة قصيرة، لقد تغيّرت لهجته وتبدّل موقفه منها، فبدا وكأنه

www.rewity.com

رجل غريب تجهل هويته وهو يقول بصوت حازم:

– هل أنت سعيدة الآن بعد أن عرفت كل شيء؟ فصرخت «أوليفيا» بانفعال شديد:

– لا! لست سعيدة، خاصة بعد أن علمت أن تلك المرأة التي أحببتها كانت سبب ارتكابك حادث السيارة. ومن يدري؟ ربما ما زلت تحبّها! ثم حدّقت إلى عينيه وسألته:

– قل لي بربّك لماذا تزوجتني؟ واشتدت حدّة الحوار بينهما وأجابها قائلا:

– كنت أمرّ بفترة صعبة، كنت فيها بحاجة إلى امرأة تعزيني في وحدتي وتؤنسني في وحشتي. وأضاف بصوت ساخر مزّق فؤاد «أوليفيا»:

– كنت أريدك، وكان الزواج هو الوسيلة الوحيدة التي تمكنني من أن أحصل عليك لإشباع حاجاتي ورغباتي و... صرخت «أوليفيا» بأعلى صوتها:

– اخرس أيها الحقير! إني أكرهك! إني أكرهك يا «ماكير ديلاني»! أكرهك... ليتني لم أتزوّجك! اللعنة عليك. وخرجت من الغرفة المشؤومة ودخلت غرفتها حيث راحت تبكي حتى أرهقها البكاء ثم استغرقت في النوم، وحين استفاقت بعد ساعة تقريبًا، وجدت «ماك» بقربها يقول:

– لقد جئتك ببعض الطعام، انهضي وتناوليه، هيّا! أجابته بنبرة جافة:

– إني لا أشعر بالجوع، لكنها لم تكن قادرة أن تستمرّ على هذه الحالة الكئيبة، كان حبّها أقوى من الغضب، وأكبر من روح الانتقام، حتى في هذه اللحظات، اجتاحتها رغبة شديدة في أن تعانقه، وحين رأت أنه مازال بقربها ألقت ذراعيها حول عنق حبيبها، وراحت تمسح دموعها بكتفيه وهي تقول:

– إنني تائهة حائرة، إن المستقبل يخيفني، وأشعر كأن علاقتنا قد اقتربت من النهاية وأن الحسّاد يتربّصون بنا و... راحت أنامله تداعب شعرها؛ لتهدئ خوفها وتطمئن قلبها، وهي تتابع قائلة:

– لم أعد أفهم طباعك يا «ماك»، فتارة أنت قاسٍ وتعاملني بظلم، وطورًا أنت محبّ. ثم أضافت:

– ضمّني يا «ماك»! أرجوك أن تضمّني. لم يدعها تكرّر طلبها فأخذها بين ذراعيه، وبينما هما غارقان في حلمهما الهادئ سمعا فجأة طرقًا على الباب، فقام «ديلاني» ليفتح وإذا به أمام امرأة عجوز تقول:

– مرحبًا! أهذا منزل السيد «ماكير كونال ديلاني»؟ وحين أجابها:

– نعم. تابعت السيدة:

www.rewity.com

– إني زوجة ساعي البريد في القرية، إن زوجي مريض وقد كلّفني بأن أسلّمك هذا الظرف. أظن أن فيه بعض الصور التي تتعلق بزفافك ياسيّدي. وبينما «ديلاني» يتحدث إلى السيدة انضمت «أوليفيا» إلى زوجها وقالت للزائرة:

– شكرًا لك يا سيّدتي، تفضّلي بالدخول. فابتسمت العجوز وقالت:

– إني أشكرك يا عزيزتي، لا يسعني البقاء وقد أزورك مرة أخرى، إلى اللقاء. فاستوقفها «ديلاني» وسألها:

– كيف عرفت يا سيدتي أنني «كونال ديلاني» بينما أهل القرية لا يعرفون عني إلا اسم «ديلاني»؟ فأجابت المرأة:

– لقد قرأت اسمك يا سيدي على ظهر إحدى الصور التي حملتها إليك. ثم أخرجت من حقيبتها صورة أخرى لهما كانت قد احتفظت بها، وطلبت منه أن يوقع عليها اسمه الكامل. وقّع على الصورة فشكرته السيدة، ثم حيّت «أوليفيا» ورحلت والبسمة تعلو شفتيها، عندها التفت «ديلاني» إلى زوجته وقال:

– إني خارج يا «أوليفيا»، لأقوم بجولة صغيرة. لن أتأخر. لكن «أوليفيا» سألته:

– وكم ستتأخر يا «ماك»؟ تنهّد «ماك» وأجاب:

– أوه! أرجوك ألا تكثري من الأسئلة. فالتزمت بالصمت خوفًا من

إغضابه، ودخلت تنتظره ساعات طويلة، جلست تنتظر رجوعه، ومرّ الوقت وكأنه دهر لا ينتهي، وعندما رجع «ماك» كان الظلام قد هبط وازداد قلق زوجته إلى درجة أنها لم تستطع أن تضبط أعصابها أمامه فقالت:

– لقد تأخرت كثيرًا! أعني أنك أخفتني، كدت أعتقد أنك لن تعود وأنك هجرتني. فهزّ «ماك» رأسه ودنا منها وقال:

– لا تخافي! أنا الآن بقربك، ولن أغيب عنك طويلا مرة ثانية، لقد اضطررت إلى إجراء مكالمة هاتفية، هل هدأ روعك الآن؟ لم تعد خائفة ما دام حبيبها بجانبها، لكنها لم تجرؤ على أن تسأله عن تلك المكالمة. فجأة سمعا من جديد طرقًا على الباب، فقام «ماك» ليفتحه، وإذا بصوت الزائر يلعلع من مدخل المزرعة، فيصل إلى أذن «أوليفيا» التي أصيبت بالذهول حين سمعته يسأل زوجها:

– أين تلك المرأة اللعينة التي تعيش معها؟ أتيت لأخبرك أن «أنيتا» قد طلّقت زوجها وهي تستعدّ للارتباط بك من جديد! فاقتربت «أوليفيا» منهما وقالت:

– مرحبًا! أنا هي المرأة اللعينة. إني زوجة «ماك». فتمتم الزائر بكلمات:

– إني أعتذر يا سيدتي، ولكني... وقاطعه «ماك» وقدّمه لزوجته:

www.rewity.com

– إنه السيد «فالتون هالينغر». فأضافت «أوليفيا»:

– أرى أن للسيد «فالتون» انشغالات عديدة منها مثلاً أنه يسعى إلى طلاقنا، أرجوك يا سيدي، إني أنتظر منك كلمة واحدة لأخرج من حياته نهائيا. فصرخ «ماك» ساخطًا:

– اخرج فورًا يا«فالتون»! اخرج من هنا! لم تكن بحاجة للمجيء إلى منزلي، كان عليك أن تفهم من خلال مكالمتي الهاتفية. ثم التفت «ماك» إلى زوجته وقال:

– أتذكرين «إيفنس» الشاهد على زواجنا؟ لقد كتب مقالة عني، وتحدث فيه عن عودتي إلى عالم الفن، واختلق أكاذيب كثيرة عن قصة ظهوري بعد اختفاء طويل. وبينما «ماك» يشرح الوضع لزوجته تدخّل «فالتون» ليقول:

– لقد بحثت عنك كثيرًا في كل مكان، وكم أتمنى أن تعود للعزف من جديد. أضافت «أوليفيا»:

– ولم لا تعزف من جديد يا «ماك»؟ أجاب «ماك»:

– أرأيت زوجتي يا «فالتون»؟ إنها معجبة بعزفي كسائر المعجبين الآخرين، وهي تتمنى أن أعود للعزف. قال «فالتون»:

– إذن أترك لها مهمة إقناعك وأنسحب. فردّ «ماك»:

– لا تنسَ يا «فالتون» أنه حتى زوجتي قد تعجز عن إقناعي!

* * * * *

- 6 -

بعد أن غادر «فالتون هالينغر» المزرعة، نظرت «أوليفيا» إلى زوجها قائلة:

– ماذا كنت تقصد من كلامك هذا؟ لم أفهم ما الذي تعنيه! لكن سؤالها لم يلق جوابًا، فتابعت قائلة:

– إن كنت تريدني أن أبتعد عن حياتك نهائيا فسوف أفعل، إن كنت تريد العودة إلى «أنيتا» فافعل دون تراجع، ولكن بالله عليك، قل لي ماذا عليَّ أن أفعل؟ أتريدني أن أرحل؟ هل أنت غاضب مني؛ لأنني أريدك أن تعزف من جديد؟ بقي «ماك» صامتًا، لم ينطق بكلمة واحدة وكأن «أوليفيا» تتحدث إلى نفسها، أو أنه لم يكن بجانبها. وقف بذهول وعيناه شاخصتان إلى زوجته، وحين أدركت «أوليفيا» أن كلامها وأسئلتها تسقط كالماء على الصخر، تابعت قائلة:

– إنك تنظر إليَّ وكأنك تنظر إلى خائن أو عدو، لم أفهم بعد ما الذي عليَّ أن أفعله؟ ماذا تنتظر مني؟ هل تسمعني؟! أتريدني أن أكذب؟ وأقول بأنني لا أهتم بعودتك إلى العزف على البيان؟ لا! لن أكذب! لم يدعها «ماك» تكمل كلامها وكأنه غير مكترث لما كانت تقوله، فقاطعها بلهجة غير مبالية وكأنه يريد أن يبدل الحديث:

www.rewity.com

– هلا تناولنا الطعام؟ عن أي طعام يتكلم؟ وهل الطعام يسد حاجتها ورغبتها في موسيقاه؟ لم يكن جوعها ماديا بل كانت تتحرق للحظة حنان وعاطفة. أحلى أمنياتها تلك الساعة، كانت كلمة ناعمة من شفتي زوجها تعيد البهجة إلى فؤادها الحزين بعد أن ساءت علاقتهما؛ بسبب زيارة «فالتون»، جلسا يتناولان طعامهما بصمت، ولم يحاول أحدهما أن يتحدث إلى الآخر، وعندما انتهى من وجبته قام «ماك»، فارتدى سترته وكأنه يتأهب للخروج. نظرت «أوليفيا» إليه بتردد وانتظرته حتى فتح الباب، فصرخت من أعماقها:

– إلى أين أنت ذاهب يا حبيبي؟ هل تذهب لنزهة وتتركني ساعات وساعات وحيدة في المنزل؟ كم أتمنى أن أقوم بنزهة أيضا!

وأمام انسياق عاطفتها أجابها «ماك» بلهجة ساخرة:

– ومن يمنعك من القيام بها؟ لم تفهم «أوليفيا» قصده فسألت:

– ولكن أتعني أن يتنزه كل منا في طريق؟ فأجابها «ماك» دون أن يبدّل صوته الساخر:

– تماما يا عزيزتي! ثم تقدَّم نحو الباب ففتحه وقال:

– يجب أن تتعودي على الوحدة، لا تنسي أنك زوجة ناسك يسعى دائمًا إلى الوحدة وينشد الانفراد. وخطا خطوة نحو الخارج لكن «أوليفيا» استوقفته، ونادته بصوت عالٍ:

– خذني معك يا «ماك»، أرجوك لا تتركني وحيدة! لكنه أصرَّ

على انفراده وقال:

– آسف يا «أوليفيا»! لا أستطيع أن أصطحبك معي؛ لأنني لن أكون وحدي، لو كنت بجانبي فسوف يبقى هاجس وجودك يشغل بالي ويلهيني عن التفكير والتأمل. وأضاف:

– كنت تعلمين منذ البداية أنني أعيش كالناسك، فأنا أحب الوحدة، أنا أنشد الوحدة وأسعى إليها، وما كان عليك أن تقبلي بي زوجًا إذا كنت تكرهين هذا النمط من الحياة. ولكنه لم يفهمها، ولم يدرك حقيقة قصدها؛ لذلك حاولت أن توضح أفكارها فقالت:

– ولكني يا «ماك» لا أكره الوحدة، كل ما أحاول أن أقوله هو أننا أصبحنا شخصًا واحدًا، لقد أصبحت جزءًا منك وأصبحت أنت جزءًا لا يتجزأ من ذاتي، وكما قال «جبران»: «لقد ولدنا معًا وسنظل معًا إلى الأبد». لقد بعث فينا الزواج حياة جديدة تربطنا ببعضنا حتى تبدد أيامنا أجنحة الموت البيضاء. أجابها «ماك»:

– لكن لا تنسي ما قاله «جبران» حين تكلم عن الزواج في كتابه «النبي» حين قال: «غنّيا وارقصا معًا، كونا فرحين أبدًا ولكن فليكن كل منكما وحده... كما أن أوتار القيثارة يقوم كل واحد منها وحده، ولكنها جميعًا تخرج نغمًا واحدًا».

– إنني أدرك جيدًا حقيقة ما تعنيه، وكل ما أطلبه منك هو أن تدعني أزور عالمك وأتعرف إليه. لم يعد «ماك» يتحمل المزيد من

www.rewity.com

المناقشات، فقال ساخطًا:

– ابتعدي عن عالمي، أفهمت؟! أريدك أن تبقي بعيدة عنه. قالها وخرج، ولكنه عاد بعد لحظات وأضاف:

– لقد نسيت أن أخبرك بأمر مهم... يمكنك أن ترحلي ساعة تشائين، فالقرار لك وحدك. فقالت «أوليفيا» بصوت حزين صادق:

– لم أكن أقصد ذلك يا «ماك»، لم أفكر يومًا في الابتعاد عنك. ولكن «ماك» كان قد ابتعد مئات الأمتار عن المنزل فلم يسمع صوتها المتوسِّل، هل حمل إليه الهواء صوت زوجته ونداءها اليائس؟ هل تستجيب السماء لصلاتها وتضرعاتها؟ وكيف يستمع إلى ما قالته إذا ما لم يكترث لدموعها وبكائها؟ فقد تابع سيره وتركها وحيدة في ذلك المنزل المهجور، ولكن ما نفع البكاء والندم؟ قالت «أوليفيا» ذلك لنفسها وهي تحاول أن تنسى الوحدة القاتلة التي تمزقها بأن أخذت تستمع إلى أسطوانات زوجها، وراحت تبدل الواحدة تلو الأخرى، فمرَّ بها الوقت دون أن تشعر، ولم تنتبه لنور الشمس وهو يخفت وتوشك الأشعة أن تغيب.

كان المساء قد أطلَّ بعتمته حين فتح الباب ودخل «ماك» عائدًا من نزهته الطويلة التي كادت ألا تنتهي. اقترب من زوجته وسألها غاضبًا:

– من سمح لك بأن تستمعي إلى تلك الأسطوانات أو أن تدخلي إلى هذه الغرفة؟ أرادت أن تقول شيئًا لكنه لم يترك لها المجال بل تابع:

– إنك تحاولين أن تبعثي فيَّ من جديد روح الموسيقى والعزف، ولكنك لن تنجحي، لن ينجح أحد في إقناعي بأن أعود إلى العزف على البيان، لم يعد يهمني أن أجمع ثروة. ولكن «أوليفيا» لم تكن تفكر في الثروة ولا المال فقالت:

– ولكن الثروة يا«ماك» لا تهمني أبدًا، كل ما يهمني هو موسيقاك الجميلة التي تعكس ذاتك.

كانت تكلمه بصوت حنون بينما نبراته قاسية وكلماته مؤلمة... مما جعل «أوليفيا» تفقد السيطرة على ذاتها. فرمت الأسطوانة من يدها بحركة غير واعية... وهمت بالخروج، ولكن لسوء حظها أصابت الأسطوانة جبين «ماك» فجرحته، فهرعت إليه تعتذر وتقبل جرحه وهي تتمتم:

– يا إلهي! لم أكن أقصد أن أجرحك، أرجو أن تسامحني.

كانت الكلمات ترتجف على شفتيها، لكنها لم تؤثر في «ماك» الذي أبعدها عنه بحركة خشنة قاسية، في تلك اللحظة انتبهت «أوليفيا» إلى أنه استعمل يده اليسرى للمرة الأولى، ولكنها لاحظت أيضًا أن طباعه قد تبدَّلت وساء مزاجه، وظهر وجهه الشرس فعاملها بقسوة

لم تعهدها من قبل. خرج من الغرفة بينما أجهشت هي بالبكاء لحظات ثم دخل إليها من جديد وقال بلهجة صارمة:

– احزمي الأمتعة، سوف نغادر المزرعة فورًا. سوف نعود إلى منزلي. فاجأها بكلامه فقالت:

– كيف نرحل ونترك المزرعة؟ قد يأتي أحد ويسرق ما فيها وربما يتخذ منها منزلا له.

– لم تعد المزرعة تهمني الآن بقدر ما كانت تهمني قبل أن تأتي إليها. ولكن هل نسي من تكون بالنسبة إليه؟ نظرت إلى عينيه تبحث عن بريق الحب الذي جمعهما لكنها لم تره، وأرادت أن تعيد إليه ذاك البريق فقالت:

– «ماك»! أنا لست بغريبة عن هذا المنزل، أنا زوجتك! أنا شريكة حياتك. لكنه بدا وكأنه لم يسمع كلامها، وكأنهما أصبحا من عالمين مختلفين يجهل أحدهما لغة الآخر..!

ودون أن يجيب توجه «ماك» إلى غرفته وشرع يحزم أمتعته، وفعلت «أوليفيا» الشيء نفسه، إذ لم يكن بوسعها أن تعصي أوامره، ثم استقلا السيارة وتوجها نحو المدينة بعد أن تركا المزرعة غارقة في الضباب. قطعا مسافة طويلة حتى خيل إلى «أوليفيا» أن الطريق لن تنتهي، لكن خوفها تبدد حين وصلا بعد منتصف الليل إلى المنزل المنشود والواقع في مدينة «ساراي». توقفت السيارة أمام منزل جميل

يشبه قصور الأمراء، فنزل «ماك» منها وقال:

– هيا بنا! علينا أن ننام ولو قليلا. ثم توجه إلى صندوق السيارة وأخرج منه الحقائب، لم يكن بوسعه أن يحملها كلها بسبب يده اليسرى، فالتفت إلى «أوليفيا» التي ما لبثت أن أدركت ما ينوي وقالت:

– دعني على الأقل أحمل حقيبتي. سارا عبر ممر صغير تحيط به حديقة، لم تستطع «أوليفيا» أن تميز أزهارها من شدة الظلام، وحين وصلا إلى الباب أخرج «ماك» المفتاح، وفتح الباب ثم دعاها للدخول، لكن «أوليفيا» توقفت ونظرت إليه والبريق يداعب عينيها وقالت:

– إن العادات تقضي بأن تحملني، إنها المرة الأولى التي أدخل فيها بيتك، أعني بيتنا؟ ولكن جوابه خيب أملها:

– إنه ليسعدني ذلك كثيرًا، ولكني للأسف غير قادر على حملك، على كل حال إني أعدك بأن أحملك في يوم من الأيام. تطلعت إلى يده اليسرى التي عجزت أن تقوم بالواجب طبقًا للعادات والتقاليد، وقالت:

– آسفة يا«ماك». لم أكن أعني ما قلته. فقبل اعتذارها وقال:

– لا بأس! هيا ادخلي الآن. فدخلت «أوليفيا» وراحت تجول بنظرها في منزل حبيبها الذي أصبح منزلها وأدهشتها نظافته،

www.rewity.com

فنظرت إلى «ماك» لتسأله، لكنه سبقها وقال:

– إن ثمة امرأة تدعى «فابر» تعتني بالمنزل وتخدمني، إنها تهتم بأمور التنظيف والترتيب والطعام، وهي تسكن بالجوار مع زوجها الذي يعتني بالحديقة... عندها سألت «أوليفيا»:

– وهل كانت تعلم بمجيئنا؟ ضحك «ماك» ضحكة ساخرة وأجاب:

– لا، لم تكن تعلم بمجيئنا! حتى إنها لم تعلم بزواجي بك. ردت «أوليفيا»:

– إنني آسفة إذا كنت سأحرج موقفك أمام السيدة.. أمام السيدة «فابر» على ما أعتقد. فأمسك «ماك» بيد زوجته وقال:

– ولكنك يا عزيزتي لن تحرجي موقفي أبدًا، سوف تفهم السيدة «فابر» أنك أصبحت حاجة ملحة بالنسبة إليّ. بدا كلامه وقحًا فاحمرّت وجنتا «أوليفيا» خجلا، ثم قادها إلى غرفة نوم الضيوف وقال:

– أعتذر لأنك سوف تمضين الليلة هنا؛ لأن غرفتي ليست معدة بعد لاستقبالك. فأجابته:

– لا بأس، ثم تركها وخرج من الغرفة. فراحت تخلع ثيابها وارتدت قميص النوم، وقبل أن تأوي إلى فراشها فوجئت به يدخل إلى غرفتها ويقول:

– كنت أتنزه قليلا في الخارج، إني حقًا متعب. وراح يخلع ثيابه ويرمي بها على كرسي قريب، فسألت «أوليفيا» متعجبة:

– ولكن هل تريد أن تنام هنا؟ فنظر إليها بدهشة وسأل:

– وهل لديك أي مانع؟ لم تتردد بل قالت بدلال:

– ولكني مرهقة. أجابها «ماك» وقد فهم قصدها:

– لكني أنوي النوم فقط، كنت أريد أن أشاطرك الفراش. وخلع ثيابه كلها قطعة قطعة أمام زوجته الخجولة التي لم تعتده بعد، ثم ناداها بشوق:

– تعالي يا حبيبتي، أعلم –حق المعرفة– أنك مشتاقة إليّ كما أنا مشتاق إليك. لقد تبدلت نبرة صوته، لم يعد ذلك الرجل القاسي الذي أمرها منذ بضع ساعات بمغادرة المزرعة. فجأة تذكر أنها زوجته وامتلكته رغبة شديدة في أن يضم جسدها المرهق إلى صدره، زالت عن «أوليفيا» كل المخاوف وتبدد حزنها وعاد إليها الأمل وتساءلت... «كيف تقاوم تلك الرغبة المضطرمة في داخلها وفي أحشائها؟ كيف تقاوم أو ترفض حرارة صوته الصادقة..؟» لم تقرر مصير تلك اللحظة وتركت الشوق يتلاعب بعواطفها.

وجاءت شمس الصباح الضاحكة، فاستفاقت «أوليفيا» على زقزقة العصافير، وكأن الطبيعة تعزف لها أغنية العشق والحياة، قامت من فراشها وأعدت نفسها لاستقبال يوم جديد مليء بالأحداث.

كان «ماك» قد أفاق باكرًا وخرج من الغرفة، ولم تكن تعلم إلى أين، لكنها لم تعر الأمر اهتمامًا. خرجت من الغرفة إلى الدار فوجدت «ماك» يتكلم بالهاتف ويقول:

– ألا يحق لي أن أنعم بشيء من الهدوء والسلام؟ ثم كيف علمت بوجودي في المنزل؟ أما زال ذلك الصحفي اللعين الخبيث الذي يدعى «بيتر إيفنس» يتبع أخباري؟ هل تتجسسون على أعمالي وتلاحقون كل خطوة أقوم بها؟ ماذا؟ تسأل عن حالة يدي؟ أهذا كل ما يشغل بالك؟ نعم، إني أتابع العلاج الضروري، أجل أجل، كما قال لي الطبيب. كاد ينتهي من المكالمة حين انتبه لوجود شخص يقترب منه فالتفت وراءه وهو يعيد السماعة إلى مكانها وقال:

– أهذا أنت يا«أوليفيا»؟! ومنذ متى تتجسسين عليَّ؟ أنت أيضًا تراقبينني كالآخرين. ترددت «أوليفيا» قبل أن تجيب ثم قالت:

– لم أكن أنوي أن أتجسس عليك، ولكني كنت أبحث عنك ثم سمعت صوتك يتسرب من الباب، فجئت إليك ولم أشأ أن أزعجك. ثم صمتت قليلا، أرادت أن تقول شيئًا لكنها لم تجرؤ فصاحت:

– لقد سمعته! كان «فالتون» على الهاتف، أليس كذلك؟ لقد سمعته! يريدك أن تتركني. هزَّ «ماك» برأسه وقال:

– ولكنك سمعت بما أجبته، أو أنك لم تصلي في الوقت المناسب! أسمعتني أتحدث عن الهدوء الذي أحتاج إليه؟ أم أنك مثلهم لن تتركيني وشأني؟ لم يكن «ماك» يريد أن يستقبل هذا اليوم بالمناقشات والخلافات، فحاول أن يبدل الموضوع ويخفف من حدة التوتر الذي ساد بينه وبين زوجته، فقال لها:

– إنني جائع، هيا بنا إلى المطبخ. إن السيدة «فابر» قد أعدَّت لنا طعامًا لذيذًا، بعد أن تناولا الطعام سويًّا عرض «ماك» على زوجته نزهة قصيرة كي تتعرف أكثر موقع المنزل الجديد وما يحيط به، وبعد أن عادا من جولتهما سألته «أوليفيا»:

– لم اخترت هذا البيت بالذات؟ أقصد لم اشتريت بيتًا كبيرًا كهذا؟ ضحك «ماك» وقال:

– لم اخترته بنفسي، فخطيبتي السابقة «أنيتا» قررت أن نشتريه. حين ذكر اسم «أنيتا» شعرت «أوليفيا» برعشة تجتاح جسمها، ولكنها تمالكت نفسها وقالت لنفسها... «ماذا يعني اسم «أنيتا» بالنسبة إلينا؟ إنها من عالم الماضي والذكريات، ولكن هل تموت الذكريات؟ هل مازال «ماك» يفكر فيها؟ فهذا المنزل منزلهما وأنا مجرد دخيلة غريبة شوَّشت عليه شريط الذكريات»، ثم التفتت إلى «ماك» وكأنها تبحث في عينيه عن جواب مطمئن، يعيد إليها الثقة بحبهما وقالت:

– بالمناسبة يا «ماك»! لقد سمعت أن «أنيتا» أوشكت على الطلاق من زوجها، لا بل طُلقت. فالتفت «ماك» إليها وتساءل عن قصدها، لكنه قبل أن يقول كلمة واحدة قاطعه جرس الهاتف، فأسرعت «أوليفيا» ورفعت السماعة قائلة:

– مرحبًا! نعم، من يتكلم؟ وإذا بصوت السيد «فالتون» يقول:

– أعتقد أنك تذكرين السيد «فالتون» يا سيدة «ديلاني»، أريد من فضلك أن أتحدّث إلى زوجك. لكن «أوليفيا» لم تمتنع عن طرح السؤال الذي كان يحرق شفتيها فقالت:

– في أي موضوع تريد التحدث مع زوجي يا سيد «هالينغر»؟ لم يكن باستطاعته أن يجيبها مباشرة عن السؤال واكتفى بقوله:

– لا تنسي يا سيدة «ديلاني» أنني مدير أعمال زوجك. فنادت «أوليفيا» «ماك» وخرجت من الغرفة؛ لتدعه يتحدث مع «فالتون». وتوجهت إلى السيدة «فابر»؛ لتتحدث إليها وتتعرف بها أكثر، فدار بينهما حوار يتعلق بلقاء «أوليفيا» الأول بـ«ماك ديلاني»، حتى إن «أوليفيا» لم تبخل على السيدة «فابر» برواية تفاصيل وصولها إلى المزرعة، وحالة السيد «ديلاني» السيئة بسبب المرض ومعاملته القاسية لها في البداية، وكيف هددها وأخافها... وحتى يوم زفافهما، بعدها رافقت السيدة «فابر» إلى بيتها المجاور كي تتعرف بزوجها «جاك».

كان «جاك» في ذاك الوقت يعتني بالحديقة ويروي أرضها الخضراء المزروعة بأصناف مختلفة من الخضار، وقد بدت الدهشة على وجه «أوليفيا» وسألت:

– أراك تزرع الخضار يا سيد «جاك»! فنظر إليها مبتسمًا وقال:

– طبعًا يا سيدة «ديلاني»، فالسيد «ماكير» يفضل أن أزرع الخضار في أرضه. فاستوضحته:

– تعني أن السيد «ماكير» يحب الخضار ويفضل أن يقطفها من حديقته؟ فهزّ الرجل رأسه إيجابًا وعاد إلى الأرض العطشى ينعش تربتها.

عندما رجعت «أوليفيا» مع السيدة «فابر» إلى المنزل كان «ماك» قد غادره إلى مكان مجهول، لكن «أوليفيا» لم تعر الأمر اهتمامًا، بل استغلت فرصة غياب زوجها لتجري مكالمة هاتفية، وبعد أن حصلت على الرقم اتصلت بـ«دانيال والتينغ» الذي فاجأته المكالمة وقال:

– «أوليفيا»؟ أهذا أنت؟! ولكن من أين تتكلمين؟ هل تقضين أيام عطلة سعيدة؟ لقد طال غيابك عنا ونحن مشتاقون إلى رؤيتك. ولكن «أوليفيا» قاطعته قائلة:

– اسمع يا«دانيال»، أنا بحالة جيدة وأقضي أيامًا سعيدة، لا، بل إنها أجمل أيام حياتي. «دانيال»! عليَّ أن أقول لك أمورًا كثيرة،

www.rewity.com

أجل، يجب أن تعلم قبل كل شيء أنني تزوجت، «دانيال»! «دانيال»! أما زلت تسمعني؟ أجبني! فأجاب بعد صمت دام بضع لحظات:

- أجل أجل، إني أسمعك جيدًا. عندئذ تابعت «أوليفيا» قائلة:

- سوف أشرح لك الأمر فيما بعد، وأرجو يا «دانيال» أن تزورنا في وقت قريب. بدا شيء من الغضب في لهجته وأجاب:

- ولكن ليس عليك أن تشرحي أي شيء. توقف ثم تابع:

- المهم أن تكوني سعيدة. فقالت «أوليفيا»:

- إن الظروف يا«دانيال» هي التي توجِّه سعادتي. لم تكن تريد أن توضح ما قالته، فأضافت بارتباك:

- إلى اللقاء! سوف أحدثك فيما بعد. إلى اللقاء يا«دانيال»! وردَّ صوت من الخارج على وداعها قائلا:

- إلى اللقاء يا عزيزتي. فوقعت السماعة من يدي «أوليفيا» واستدارت، وإذا بها ترى زوجها واقفًا خلفها والبسمة الساخرة ترتسم على شفتيه، وقال:

- أعتذر إن كنت قد أزعجتك، أكنت تتحدثين مع حبيبك؟ كان لكلامه وقع قاسٍ على «أوليفيا» التي أجابت بغضب:

- إنك تعلم جيدًا أن «دانيال» ليس حبيبي، بل هو مجرد صديق. فاقترب منها وجذبها إليه وقال لها:

- سمعتك تتكلمين عن السعادة... وسمعتك تحدثينه عن ارتباط سعادتك بالظروف، لذلك فسوف أجعلك الآن يا عزيزتي تشعرين بسعادة لم تشعري بها من قبل، تعالي! وضمها «ماك» بقوة حتى كاد يخنقها بين ذراعيه ويسحق جسمها النحيل، ثم رماها على الأريكة... فهتفت مذعورة:

- ولكن يا«ماك»، قد يدخل أحد ما في أي وقت كان. فطمأنها قائلا:

- لا تخافي! لقد أقفلت الباب، إنك الآن معي، ولن يزعج أحد خلوتنا هذه، بل لن يستطيع أحد أبدًا أن يزعجها أو يعبث بها. كان «ماك» على حق، فلم يقاطع أحد عليهما رحلتهما على متن سفينة الحب، وبعد ساعات حين أشرفت الرحلة على النهاية ورست السفينة على شاطئ اليقظة... قال «ماك»:

- هل أنت سعيدة الآن يا حبيبتي أم أنك تفضلين الحب مع «دانيال» هذا!؟ فأجابته «أوليفيا» بكل هدوء:

- لا أعلم أيهما الأفضل، سوف أحاول الحب مع «دانيال» وبعدها أقارن بينكما، وأقول لك من الأفضل، وأشبع بذلك فضولك. لم يكن «ماك» ينتظر مثل هذا الجواب فأجاب باندهاش:

- ماذا؟ ماذا تقولين؟ لكن صوت السيدة «فابر» قطع سؤاله وسمعها تقول له:

WWW.REWITY.COM

– عفوًا يا سيد «ماك»، هناك سيدة تريد مقابلتك، إنها السيدة «أنيتا»، إنها بانتظارك في الدار، وترفض أن تغادر المكان قبل أن تلتقي بها.

* * * * *

- 7 -

بعد أن خرجت الخادمة من الغرفة، التفت «ماك» إلى «أوليفيا» وقال لها:

– أريدك أن ترافقيني إلى الدار، لكنها لم تكن راغبة في ذلك على الإطلاق، وما إن سمعت اسم «أنيتا» حتى شعرت بخوف غريب يجتاح قلبها، لذلك أجابت:

– أفضّل أن تذهب وتجابهها بمفردك، قد يزعجها وجودي إلى جانبك، ثم إني لا أحتمل رؤيتها. لكن «ماك» أصرّ على موقفه وقال بلهجة صارمة:

– سوف ترافقينني شئت أم أبيت. وأضاف بلهجة أقل تصلبًا:

– إنني أريدها أن تقابلك؛ لكي تفهم أنها خسرتني إلى الأبد. بعث كلامه في قلبها شيئًا من الشجاعة، فأمسكت بيد زوجها واتجها معًا إلى الدار حيث كانت «أنيتا» تنتظر.

كانت «أنيتا» قد جلست في إحدى زوايا الغرفة الكبيرة بعد أن أشعلت سيجارة وراحت تنفخ دخانها الأبيض حتى ملأ الغرفة، حين سمعت الخطوات تقترب منها، رفعت «أنيتا» رأسها وبدت على وجهها علامات الدهشة، وبدا واضحًا أن وجود «أوليفيا» أزعجها، فقالت لـ«ماك» بكل وقاحة:

www.rewity.com

– إنني أريد أن أتحدث إليك على انفراد. وأمام جرأتها هذه تساءلت «أوليفيا»: «ما هذه المرأة الوقحة؟! إنها حتى لم تلق التحية» لكن «ماك» تدارك الموقف المحرج والتفت إلى الزائرة العنيفة فوجّه إليها نظرة معاتبة وقال:

– هل أعجبك اختياري لـ«أوليفيا» زوجة لي؟ تجاهلت «أنيتا» سؤاله وأجابت:

– لقد طلبت أن أقابلك على انفراد. فأجابها «ماك»:

– ولكن يا سيدة «أنيتا»، لا توجد أية أسرار بيني وبين زوجتي. وأمام موقفه الحازم لم يعد بوسع «أنيتا» أن تصرّ على رغبتها فاستسلمت رغمًا عنها للأمر الواقع وقالت:

– حسنًا! إذا كنت مصممًا على موقفك هذا، ولكني أعدك بأنك سوف تندم عليه تمام الندم. ثم اقتربت منه قليلا ورمقت «أوليفيا» بنظرة اشمئزاز، ودنت منه أكثر فأكثر حتى كاد جسمها يلتصق بجسمه، وقالت دون أي تردّد:

– مازلت أحبك يا «ماك» ولم أتوقف يومًا عن حبك، وما أريده الآن منك هو أن تطلّق زوجتك، كي نستعيد العلاقة الحميمة التي كانت تربطنا بعضنا ببعض. أطلق «ماك» ضحكة عالية وقال بلهجة ساخرة غلفها الحقد وحب الانتقام:

– يا إلهي! لقد حطمت فؤادي بكلامك الجميل والمؤثر هذا، وأكاد

أجهش بالبكاء، ولكن قد فات الأوان الآن، لقد تأخرت كثيرًا ياعزيزتي فسبقك القطار، ثم اقترب من زوجته وأضاف قائلا:

– لقد اخترت زوجة تليق بمقامي وتسهر على راحتي وتعتني بي، لدرجة أنها أصبحت حاجة ماسة، لا، بل ضرورة أولية في حياتي، لم أعد أستطيع أن أتخلّى عنها لحظة واحدة ولا غنى لي عنها. وبعد أن حدّق إلى عيني «أنيتا»، أضاف قائلا:

– أرى أنك تجهلين معنى السهر والاعتناء بشخص، إنك تجهلين تمامًا معنى الحاجة وأعني بها حاجة المرء إلى مساعدة الغير. وبحركة لاشعورية أمسكت «أوليفيا» بيد زوجها، وأشارت إليه بأن يلتزم الصمت، ففعل، عندها ردّت «أنيتا» وقد تجاهلت كل ما قاله لها:

– أريدك يا «ماك» أن تعود للعزف على البيان. فأجابها «ماك» ساخرًا وسائلا:

– كم دفع لك «فالتون» ثمنًا لمهمة إقناعي بالعودة إلى العزف؟ ازداد غضب «أنيتا» وهي تجيبه:

– سوف أستعمل كل الوسائل من أجل استعادتك، وقد ألجأ إلى أقبحها إذا ما اضطرتني الظروف لذلك، أجل! يمكنني أن أشوّه سمعتك، خاصةً بعد أن حصلنا على معلومات قد يتشوّق الجمهور إلى معرفتها، فإن السيدة «فابر» أطلعتنا على أمور كثيرة، وزوّدتنا

بأخبار قد تهمّ الصحافة كثيرًا، أذكر منها على سبيل المثال الحالة المرضيّة السيئة التي كنت تتخبّط فيها لدى وصول زوجتك إلى تلك المزرعة، أضف إليها ادعاءاتك بارتكاب جريمة ما، ومن يدري؟ ربما قد تكون جرائم متعددة، وتهديدك باغتصاب تلك المرأة التي تدّعي أنها زوجتك. وأمام كلامها المهدّد هذا لم تعد «أوليفيا» قادرة على الاحتمال، فقد عيل صبرها وصرخت بوجه زائرتها الوقحة:

– اخرسي يا سيدة «أنيتا». يكفي ما قلته حتى الآن! لقد ربحت الجولة، وإذا كان «ماكير» يريدك فإني أنسحب ويبقى لك بكليّته، ولكني أتساءل كيف يستطيع أن يحب امرأة مثلك؟ لم يعد باستطاعة «ماك» أن يحتمل أكثر، فتدخّل لوضع حد لتلك المناقشة التي بدا أنها أخذت طابع الانتقام الشرس، وسارع يقول لزوجته:

– مهلا يا «أوليفيا»! لا تتسرعي في اتخاذ موقف قد تكون ردّة فعله سيئة علينا جميعًا، ثم من قال لك إنني أحبّها؟ وما أدراك أني أريدها؟ فأجابت «أوليفيا» وقد شعرت برياح الأمل الخائب تلفح قلبها:

– لو كنت تحبني حقًّا لقلت لي ولو مرة واحدة أحبك، ولكني لم أسمع منك هذه الكلمة التي طالما اشتقت إلى سماعها، أتذكر ليلة سألتك فيها عن الحب وبشكل خاص عن حبك لي عندها اكتفيت بإلقاء قصيدة صغيرة عن الحب، وامتنعت عن الإجابة مباشرة عن

سؤالي. وتوقفت قليلا وأرسلت تنهيدة عميقة ثم تابعت قائلة:

– «أنيتا» لك الآن، تستطيع أن تمزّق وثيقة زواجنا إن شئت، فأنا راحلة عنك، أقصد عنكما، أفضّل أن أعيش مع رجل يتلو على مسامعي كلمات الحب الجميلة، ولا يعاملني بلا أية مشاعر، وكأن الحب مجرّد شهوة عابرة تزول عند إشباعها، سأعود إلى «دانيال والتينغ» فهو على الأقل يحبني حق المحبة، ولن يتركني أبدًا.

بعد أن قالت «أوليفيا» ذلك صعدت بسرعة إلى غرفتها وراحت تحزم أمتعتها... بينما بدأت عيناها تغرقان بالدموع، كان الدمع يفيض مثل نهر يغمر كل ما يحيط به، وبعد أن انتهت من حزم أغراضها، توجّهت إلى الدار حيث كان «ماكير» يواجه بصمت «أنيتا» اللامبالية، حاولت أن تخفي دموعها قبل أن تدخل عليهما وقالت:

– الوداع يا «ماك»! أتمنى لك حظًّا سعيدًا مع من اخترت، وأتمنى النجاح لمهنتك في المستقبل القريب. ثم هرعت إلى سيارتها ورمت الحقائب في الصندوق الخلفي وأدارت المحرّك، وغادرت المكان دون أن تلتفت إلى زوجها الذي لحق بها وأخذ يصرخ:

– تمهّلي يا «أوليفيا»! تمهلي أيتها المجنونة! وقطعت طريقًا مزدحمة بالناس حتى وصلت أخيرًا إلى منزلها بعد غياب دام بضعة أسابيع.

www.rewity.com

وكانت الشمس قد أشرفت على المغيب وغاب معها الأمل والبسمة، وراحت تنسج آخر وهج من النهار حول الأفق اللازوردي، فنظرت «أوليفيا» إلى الوشاح الذي كانت تنسجه الخطاطيف حولها وهي تسبح بطيش في كبد السماء، ثم ترجّلت من السيارة، أخرجت حقيبتها ودخلت إلى المنزل وجلست وحيدة، فعادت إليها الذكريات، وعاد إلى ذهنها شريط الأيام الغابرة، وتذكرت خالتها «مولي» التي ترعرعت في كنفها منذ نعومة أظفارها، والتي أورثتها كل ما كانت تملكه من مال وثروة بالإضافة إلى هذا البيت الجميل، لكن «أوليفيا» لم تكن تأبه بالمال، فبماذا ينتفع الإنسان لو ربح مال العالم وخسر من يحبّ؟! أضاءت النور ثم هرولت إلى غرفتها حيث كانت صورة «ماك» معلّقة على أحد الجدران، فاقتربت منها وراحت تتأمل «ماك» الذي كان يعزف على البيان، ثم مدّت يدها نحوه وحاولت أن تلمس يديه، لكنه لم يلتفت إليها، لم يبتسم لها، ولم يضمّها إلى صدره كما كان يفعل، فشعرت «أوليفيا» بوحدة غريبة تلفّها وتكاد تسحق قلبها. كان حلمًا جميلا وتبدّد، كان سرابًا واختفى، كان بريقًا وانطفأ، لقد هربت من حبّها وهجرت حبيبها، رحلت من أجله ومن أجل وحدته بالذات، كان حبهما صرحًا فهوى، ولم يبق منه سوى الأطلال التي شتّتتها الرياح وبعثرتها العواصف، الآن بات عليها أن تعتاد الوحدة، ولكنها لم

تكن مستعدة بعد لتحمل هذا العبء الثقيل الجديد؛ لذلك خرجت من المنزل وقرّرت أن تزور جيرانها آل «والتينغ» لكنها حين بلغت باب المدخل تردّدت قليلا ثم دقّت الجرس، سمعت خطوات بطيئة تقترب من الباب لتفتحه، وإذا بالسيدة «والتينغ» والدة «دانيال» تقول والدهشة في عينيها:

- يا إلهي! هذه أنت يا«أوليفيا»؟! أهلا وسهلا بك. تفضلي ياعزيزتي، ما هذه المفاجأة السارة؟! قبّلتها ثم نادت على ابنها «دانيال» قائلة:

- «دانيال»! «دانيال»! أسرع إلى هنا، ثمة شخص في انتظارك.

وصل «دانيال» بعد دقائق قليلة، ففوجئ بوجود «أوليفيا»، وتلعثم في كلامه ثم قال:

- «أوليفيا»! ما الذي جاء بك إلى هنا؟ هل أنت بمفردك؟ أعني هل بقي زوجك في البيت؟ فابتسمت «أوليفيا» له وقالت:

- لقد أتيت بمفردي إلى المنزل، عليّ أن أقوم ببعض الترتيبات اللازمة. ولكن عذرها لم يكن كافيًا لغياب زوجها وعدم حضوره، على الأقل بالنسبة إلى السيدة «والتينغ»، وبينما كانت السيدة تحدّق إليها متسائلة، أضافت «أوليفيا» قائلة:

- إن زوجي منكبّ على عمله، الوقت يداهمه وعليه أن ينهي بعض الأعمال المستعجلة؛ لذلك لم يستطع أن يرافقني. فسألها

«دانيال»:

– ومن يكون صاحب الحظ السعيد الذي حظي بامرأة مثلك؟

احمرّت وجنتا «أوليفيا» وأجابت:

– إن إطراءك لطيف، حبذا لو كانت اللطافة في قلب كل إنسان.

ثم توقفت هنيهة وأجابت:

– لقد تزوجت بـ«ماكير كونال». وبعد أن لاحظت الدهشة التي ارتسمت في عيون السيدة «والتينغ» وابنها، أوضحت قائلة:

– أجل، إن زوجي هو العازف الشهير الذي تملكان الكثير من أسطواناته. فقالت السيدة «والتينغ»:

– إنني أبارك اختيارك لهذا الشخص الكبير والعظيم، ولكن... ولكنه... وتوقفت السيدة عن الكلام ولم تجرؤ أن تطرح السؤال، لكنها أصرت على معرفة كل شيء وقالت:

– لقد كتبت الصحف أن السيد «ماكير» تعرّض لحادث سيارة كاد أن يقضي على حياته، وأظن أنه أصيب خلاله بعاهة في يده اليسرى على ما أذكر، وقيل إن الحادث وقع بسبب امرأة كان على وشك الزواج بها. أجابت «أوليفيا» بعد أن أدركت أنه لابد لها من أن تواجه هذه الأسئلة وتشبع فضول الناس، وقد أصبحت زوجة العازف الشهير والذائع الصيت «ماكير كونال»:

– أنت على حق يا سيدة «والتينغ»، لقد أصيبت ذراع زوجي

اليسرى بعد أن تعرّض لحادث سيارة خطير، ولكنه الآن بصدد معالجتها، وهو يهيئ نفسه لكي يرجع إلى العزف من جديد.

وتساءلت السيدة «والتينغ» من جديد:

– ولكني لا أفهم، كيف تتحملين فراقه وأنتما في أول عهد زواجكما؟

عندها أرادت «أوليفيا» أن تضع حدًّا لهذا الحوار فأجابت:

– أعتقد أن الظروف تتغلب في بعض الأحيان على رغباتنا وتسيّرنا في طريق لا نختارها، أرجو أن تكون قد استفدت من الغرفة التي خصّصتها خالتي لك. فأجابت الأم:

– طبعًا طبعًا! إنه يقضي معظم أوقاته في هذه الغرفة المظلمة. ردّت «أوليفيا»:

– أرجو ألا يمنعك وجودي في المنزل من التردّد إلى الغرفة، والآن أرجو المعذرة، فإني أشعر بنعاس رهيب، إلى اللقاء يا سيدة «والتينغ». فقالت العجوز:

– طبعًا يا عزيزتي، لقد أضناك السفر، أرجو أن تأخذي قسطًا من الراحة يعيد إليك النشاط والحيوية اللذين عهدناهما فيك. ثم خرجت ورافقها «دانيال» إلى منزلها؛ لأن الوقت كان قد تأخر وأشرفت الساعة على التاسعة ليلا، وحين وصلا إلى المنزل، دعته للدخول ففعل، وعند الباب أمسك بيدها وقال:

– رغم ابتعادك عنا، مازلت أملك الأمل في عودتك إلينا، أشعر

www.rewity.com

بأنك غريبة عن عالم الرجل الذي اخترته. وبعد أن حدق إلى عينيها الشاردتين، أضاف قائلا:

- أرى أنك لست على ما يرام يا «أوليفيا»، ما الأمر؟ أخبريني ما بك، ربما أستطيع مساعدتك على تجاوز المحنة التي أنت فيها، إني أراك تتخبطين في اليأس وتصارعين الكآبة، لا تحاولي أن تخفي حزنك عني. هل صحيح أن زوجك لم يتمكّن من مرافقتك بسبب علاجه وأعماله المتراكمة؟ أم أنك اخترعت هذا العذر الكاذب؟ هل أستخلص أن زواجكما قد فشل؟ أجيبي يا «أوليفيا»! أرجوك أن تجيبيني! أتوسّل إليك أن تردّي عليّ! سحبت «أوليفيا» يدها من يديه وصرخت بوجهه:

- أجل! أجل! أجل! لقد فشل زواجنا، لقد فشل لأسباب يجهلها الجميع، حتى أنت يا «دانيال» لن تفهمها أبدًا. لم يكمل المناقشة؛ لأنه لم يشأ أن يزعجها ويزيد من حزنها، فاعتذر إليها وودّعها قائلا:

- أعدك يا «أوليفيا» بأنني لن أطرح عليك أي سؤال بعد اليوم، فالتفتت إليه وشعرت برغبة جامحة في أن يغمرها بذراعيه ويلفّها بحنانه، وقالت:

- مازلت تستطيع التردّد إلى غرفتك واستعمالها ساعة شئت، أعلم أنك بحاجة إليها فيما يتعلّق بفنك التصويري. لا تتردّد في

استعمالها. فشكرها «دانيال» قائلا:

- شكرًا لك يا «أوليفيا»، والآن طابت ليلتك، أتمنّى لك أحلامًا سعيدة. ودّعها «دانيال» وعاد إلى بيته فدخلت «أوليفيا» إلى الدار وأشعلت سيجارة وراحت تدخّنها بهدوء، تحاول أن تنسى همومها، فجأة رنّ جرس الهاتف فرفعت السماعة وقالت:

- مرحبًا! من المتكلم؟ وإذا بصوت غريب يجيبها قائلا:

- أدعى «ديك هارفي»، أنا صحافي وأرغب في التحدث إلى السيدة «ماكير كونال». أجابت «أوليفيا»:

- إنك تتحدث إلى السيدة «أوليفيا ديلاني». هلا أخبرتني من فضلك كيف حصلت على رقم هاتفي؟ أجابها الصحافي:

- لقد طلبته من السيدة «فابر»، كنت أودّ أن أطرح عليك بعض الأسئلة. فقاطعته «أوليفيا» قائلة:

- ولكني لا أملك الوقت للإجابة عن أسئلتك السخيفة هذه. لكن السيد «هارفي» أصرّ على موقفه وسأل:

- قيل إنك على وشك الطلاق من السيد «ماكير»، فهل هذا الخبر صحيح يا سيدة «ديلاني»؟ فأجابت «أوليفيا» بغضب:

- لا! لا! هذا غير صحيح أبدًا. فاستطرد الصحافي:

- ولكن خطيبة زوجك السابقة قد أكّدت لنا الخبر هذا، فما هو تعليقك على ذلك؟ وأمام معلوماته تلك اكتفت «أوليفيا» بالإجابة:

– ليس لديَّ أي تعليق، أشكر لك فضولك وأرجو ألا أسمع صوتك مرة أخرى. ثم أشعلت سيجارة ثانية ودخلت غرفتها وحاولت أن تنام. وتوالت الأيام، فبدت وكأنها دهر لا نهاية له، أحسّت «أوليفيا» أن الوقت يمرّ دون أن يطرق بابها، وشعرت وكأن الزمن نسي أو تناسى وجودها، لا بل إن العالم كله تجاهلها، لم يتصل بها زوجها ولو مرة واحدة، ولم تردها أية معلومات بشأنه، ولم يشأ آل «والتينغ» إزعاجها فتركوها تتخبط في وحدة مؤلمة موحشة.

وذات يوم، بينما كانت تغتسل في الحمام، سمعت طرقًا على الباب، فأسرعت تسكب الماء على جسمها لتزيل عنه رغوة الصابون، ولفّت منشفة حول نفسها، ثم هرولت إلى الباب لترى من الزائر. كانت متأكدة من هويته، فمن عساه يكون غير «دانيال»؟! وحين وصلت إلى الباب وجدته مفتوحًا وأبصرت زوجها ماثلا أمامها، فقالت والدهشة في صوتها دون أن تعي ما تقول:

– اعتقدت أنك «دانيال». فسألها «ماك» بلهجة ساخرة:

– لقد خيبت أملك، أعتذر عن ذلك، ولكن ألا تدعينني للدخول؟

فقالت بعد تردّد:

– تفضّل! ادخل. فعاد ليسألها ساخرًا:

– أرى أنك كنت بانتظار شخص آخر، هل تتمتعين برفقته؟ هل تواعدتما على الاغتسال معًا؟ فصرخت «أوليفيا»:

– هلا خرجت فورًا من بيتي؟! لكن «ماك» تابع كلامه بكل هدوء وسألها:

– أهكذا تستقبلين زوجك بعد غياب شهرين؟ إنك تلومينني وكأنني أنا الذي هجرتك، هل نسيت أنك اخترت الرحيل بنفسك؟ أم أنك ما عدت تذكرين ذلك؟ ثم جذبها بيده اليسرى إليه، فتراجعت وقد انتبهت إلى أن يده قد شفيت، لكنه عاد يتقدّم منها شيئًا فشيئًا، وأحسّت بأن قلبها يخفق بسرعة، وتركض دقاته تسابق الوقت والحقيقة. وبينما تعلو الرعشة في أطرافها، تابع «ماك» اقترابه حتى التقطها ونزع المنشفة عنها، فصرخت:

– أعطني المنشفة أيها الوقح! أيها الجبان! إني أشعر بالبرد.

فسألها:

– ألا تريدين أن أدفئك؟ وحين لاحظ صمتها قال لها بكل هدوء:

– إنني أمتّع نظري بما حجب عني لمدة شهرين. فقالت «أوليفيا» والغيرة تزيد من بريق عينيها المتأججتين:

– ولكن «أنيتا» كانت دومًا إلى جانبك؛ لتشبع نظرك وربما غرائزك أيضًا، أنت لم تعد تحتاج إليَّ بعد رجوعها، لذلك فضلت أن أبتعد عنك حين اكتشفت أنك مازلت تحبها. فصرخ بها قائلا:

– أنت كاذبة! كاذبة! لا تجيدين غير الكذب! لقد تركتني لتعودي إلى حبيبك السابق، أيتها الحقيرة! فأجهشت «أوليفيا»

www.rewity.com

بالبكاء وراحت تتمتم:

- إنك مخطئ، إن «دانيال» ليس حبيبًا لي، بل إنه مجردّ صديق، وهو يأتي إلى هنا بسبب الغرفة التي أورثته إياها خالتي، فهو مصوّر محترف وبحاجة إلى غرفة مظلمة، يقوم فيها بالأعمال التي تستلزمها مهنته. فضحك «ماك» ساخرًا وقال لها:

- عذر أقبح من ذنب! وهل تريدينني أن أصدّق هذه الحماقات التي تردّدينها؟ لكن «أوليفيا» أوقفته عند حدّه وسألته:

- لماذا جئت هنا يا «ماك»؟ ظل صامتًا بضع لحظات ثم أجابها:

- لماذا جئت؟! لقد أتيت لأصطحبك معي، ولكن بعد أن علمت بوجود «دانيال»، لم أعد أرغب في ذلك، لن أجرؤ على طلب ذلك منك. وبينما كان «ماك» يتكلم، انحنت «أوليفيا» إلى الأرض لتلتقط منشفتها، فأوقفها ثم حملها بقوة، حاولت أن تتخلّص منه لكنه كان أقوى منها، وسيطر عليها، وتوجّه بها إلى غرفة النوم، دون أن يأبه لصراخها المتواصل:

- اتركني يا «ماك»! لا! لا! لا تفعل! اتركني! ابتعد عن طريقي! عد إليها! لكن «ماك» لم يكن يبالي بما تقوله ورمى بها فوق السرير، ثم التفت إلى صورته المعلّقة فوقه وقال بسخرية:

- أهذا أنا؟ ثم عانقها كما ينقضّ نمر شرس على طريدة ضعيفة، فصرخت:

- دعني يا «ماك»! أرجوك ألا تفعل! فردّ ضاحكًا:

- لم يكن هذا ما قلته ليلة زفافنا! أليس كذلك؟ ثم أخذها إلى عالمه... وحين استفاقت من حلمها الرائع، رأت «ماك» يرتدي ثيابه ويستعدّ للخروج فقالت:

- هل أنت ذاهب يا «ماك»؟ أجابها:

- لماذا تسألين؟ هل تودّين أن... أعني هل تريدينني أن أبقى؟ هل أنت تحتاجين إلى المزيد من الحب؟ فردّت عليه بغضب:

- إنك مخطئ بشأني، إني مازلت أحبك يا «ماك»، ولن أحبّ أحدًا سواك أنت، أنت حياتي. فنظر إليها نظرة لا مبالاة وقال:

- قولي ذلك للصورة المعلّقة فوق سريرك، لا، بل قوليه لحبيبك حين يأتي ويندس في فراشك هذا المساء. وخرج.

* * * * *

- 8 -

بينما كانت «أوليفيا» تتصفح كعادتها جريدة الصباح، لفت نظرها على الصفحة الأولى، صورة زوجها وإلى جانبه «أنيتا برامبلا» فانتابها شعور عارم لم يسبق لها أن عرفته من قبل، كان مزيجًا من الغيرة والحقد والانتقام. أحست وكأنها تختنق من شدة دقات قلبها، رمت الجريدة على الأرض، ثم أشعلت سيجارة علها تخفف من غضبها وتهدئ ثورة أعصابها. بعد قليل انحنت فقلّبت الجريدة وبشيء من العصبية والضغينة قرأت: «عودة الحبيبين «ماكير كونال ديلاني» و«أنيتا برامبلا» بعد فراق طويل، وبعد الفشل الذي عرفه كل منهما في زواجه».

في تلك اللحظة، كانت تتمنى لو تستطيع أن تمزق جميع الجرائد التي نشرت الخبر، رمت الصحيفة من جديد وراحت تلعن الصحافة والناس، وتفكر مليًا في وضعها هذا. وقبل أن تقدم على أية خطوة مجنونة قد تقضي نهائيا على حلمها الجميل، ترددت طويلا، كانت تدرك في قرارة نفسها أنها لن تتخلى عن «ماكير»؛ لأن حبها له أقوى من الغيرة وأقوى من الحقد؛ لذلك جلست تستعرض الحلول التي يمكن أن تتبناها لتنقذ زواجها، وبعد تفكير طويل... قررت أن تسافر إلى «لندن» حيث مكتب «فالتون هالينغر»، أرادت

أن تقابل مدير أعمال زوجها عله يرشدها إلى مكانه، وقبل أن تغادر المنزل أطلعت «دانيال» على مشروعها، فحاول عبثًا إقناعها بأن تتراجع عنه، وتمكث بالبيت وتنتظر، فأجابته:

– لا! لن أنتظر أن يأتيني الوقت بالحل المناسب، بل سوف أسعى وراءه مهما كلفني الأمر. وعندما رأى «دانيال» عنادها وإصرارها على السفر إلى «لندن» قال:

– حسنًا يا«أوليفيا»! افعلي ما تشائين وما ترينه مفيدًا، لكني أحذرك من مغبة هذه الزيارة وأحذرك بشكل خاص من «فالتون هالينغر» بالذات. طمأنته «أوليفيا» قائلة:

– لا تخف يا «دانيال»، لن ينجحوا أبدًا في إبعاد زوجي عني، إنني متأكدة من حبه لي ومن حبي له، ولذلك أنا مصرة على رؤيته لإقناعه بالعودة إليّ. فقال «دانيال» مودعًا:

– إنك تعلمين منزلتك في قلبي، إن كل ما أتمناه لك هو السعادة حتى ولو كانت على حساب علاقتنا. شكرته «أوليفيا» وراحت تعد نفسها للسفر إلى عاصمة الضباب، فور وصولها إلى «لندن» توجهت مباشرة إلى مكتب «فالتون»، انتظرت بضع دقائق خارج المكتب قبل أن يستقبلها السيد «هالينغر»، ثم فتح الباب وخرج منه «فالتون» مبتسمًا وقال:

– ما هذه المفاجأة السارة يا سيدة «ديلاني»؟ إنه ليسعدني استقبالك

www.rewity.com

في مكتبي المتواضع، أرجو أن تتفضلي بالدخول. دخلت فأغلق الباب وراءها وجلس خلف مكتبه، وجلست «أوليفيا» على المقعد قبالته، قالت له:

– إن سرورك بمشاهدتي يا سيد «فالتون» لا يفوق سروري برؤيتك.

ثم ابتسمت ابتسامة ساخرة وأضافت:

– لن آخذ الكثير من وقتك. فأجابها:

– طبعًا لا! ولكن أية عاصفة حملتك إلينا يا سيدة «ديلاني»؟

فأجابت «أوليفيا» بهدوء تام:

– إن الذي جاء بي إلى هنا يا سيد «هالينغر»، هو حبي لزوجي وشوقي إليه، فأنا أبحث عنه؛ إذ إنه لم يترك لي عنوانًا ولا رقم هاتف لأتصل به، وأنا متأكدة من أنك تعرف عنوانه وباستطاعتك أن ترشدني إلى مكان وجوده. فأجابها قائلا:

– ولكنني في الوقت الحاضر لا أعرف شيئًا عن مكان وجوده فهو... فسألته «أوليفيا» بلهفة:

– أتعني أنه خارج البلاد يا سيد «فالتون»؟ هل سافر إلى بلد ما؟

أجابها:

– لا! لا أظن أنه في الخارج. كانت نبرة صوته تفقد هدوءها شيئًا فشيئًا، لذلك قالت «أوليفيا» غاضبة:

– أين تعتقد أنه موجود؟ هل تحاول أن... فأجابها:

– أرجوك يا سيدة «ديلاني»... واشتد غضبها فصاحت به:

– تريدني أن أخرس أمام كذبك ووقاحتك. فصرخ «فالتون» بوجهها وقال:

– لا! لقد بالغت في... فردت «أوليفيا» بجرأة توازي غضبه:

– أتسمي ذلك مبالغة... حين تبحث امرأة عن زوجها؟ إنه زوجي ياسيد «فالتون». عند هذا الحد فقد «فالتون» السيطرة على هدوئه وقال لها بكل وقاحة وجرأة:

– اسمعي جيدًا يا سيدة «أوليفيا»، أكان زوجك أم عشيقك فلا فرق عندي، إن كل ما يهمني هو أن أبعدك نهائيا عن «ماكير»، وسوف أبذل كل جهدي في سبيل تحقيق هدفي حتى ولو اضطرتني الظروف إلى استعمال أقبح وأشنع الوسائل، إن السيد «ماكير» قد شفي تمامًا من الإصابة التي لحقت بذراعه اليسرى، وهو الآن يستعد للعودة إلى العزف، لا تكوني أنانية... فالجمهور يحتاج إليه كما هو يحتاج إلى الموسيقى والفن. دعيه وشأنه، إن أمامه سفرًا طويلا إلى الخارج، وقد يسافر عما قريب إلى «أستراليا» و«الولايات المتحدة» وبلدان أخرى، لاأريد أن تقيديه كما لا أريد أن تقيده أية امرأة كانت، أريده حرًا.

وهل تُعتبر «أوليفيا» حجر عثرة أمام مهنة «ماكير كونال»؟ هل وجودها إلى جانبه يمنعه من العزف ومن الاهتمام بالموسيقى؟ لم تعد

www.rewity.com

«أوليفيا» تدري ما تقوله ولا ما تجيب به لكنها اكتفت بقولها:

– ولكن يا سيد «فالتون» إذا تركته أنا فلن تتركه «أنيتا برامبلا».

فأجابها «فالتون» على الفور:

– دعك من «أنيتا». سوف أتولى أمرها بنفسي. كانت حدة غضبه قد خفت فأضاف بهدوء:

– والآن أرجو أن ترافقيني، أريد أن أريك شيئًا. قام وخرج فلحقت به «أوليفيا»، وسارا باتجاه ردهة طويلة، وبعد أن قطعا بضعة أمتار، توقفا في زاوية مظلمة، ثم رفع «فالتون» يده وأشار بها إلى الجهة المقابلة، فنظرت «أوليفيا» إلى حيث أشار إليها، ورأت زوجها يعانق «أنيتا». وبينما كانت الدهشة تمسح وجهها، أمر «فالتون» أحد المصورين الذي كان واقفًا عند أسفل السلم أن يأخذ صورة لـ«أوليفيا» وهي تنظر إلى زوجها و«أنيتا»، أحست «أوليفيا» وكأن المشهد صفعة سقطت على خدها أيقظتها من حلم جميل وأعادتها إلى الواقع المؤلم المرير، فالتفتت إلى «فالتون» باشمئزاز وقالت له:

– يا لك من... حقير! أيها الكاذب اللعين! كان «ماك» هنا طوال الوقت ولم تخبرني بوجوده! وأمام شدة غضبها، أحس «فالتون» بأنها قد تنقض عليه وتمزق وجهه بأظافرها، فقال لها بشيء من

الخوف:

– ولكن! ولكن السيد «ديلاني» هو الذي طلب مني أن أقابلك، وأصر أن أخفي عليك مكان وجوده. فحدقت «أوليفيا» إلى عينيه وتمنت في تلك الساعة لو أنها تملك خنجرًا تغمده في صدره، ثم قالت:

– طبعًا! لا شك أن السيد «ديلاني» هو الذي أمر وأنت أطعت الأوامر. فتجاهل «فالتون» غضبها وقال:

– كل ما يمكنني قوله هو أن السيد «ديلاني» يعد نفسه لحفلة عزف قريبًا جدًا، سوف يجريها على المسرح الملكي بعد حوالي ثلاثة أسابيع. كانت نار الحقد متأججة في قلب «أوليفيا» فردت بعنف:

– سوف أنتقم منك يا سيد «فالتون» ومن هذه المرأة اللعينة «أنيتا»، سوف أنتقم منكم جميعًا. وغادرت المكتب والحزن يحطم قلبها.

عادت إلى منزلها خائبة الأمل، وكانت يائسة حتى إنها فكرت في أن تضع حدًا لحياتها التعيسة.

وفي صباح اليوم التالي، اتصلت بـ«دانيال» وطلبت منه أن يأتي عله يخفف من حزنها، ولبى دعوتها بسرعة، وفور وصوله أطلعته على نتائج سفرها فقال:

– ألم أحذرك يا عزيزتي؟ أريدك أن تنسي ما حصل. وردد مرة

أخرى:

– أريدك أن تنسيه، ليتك تنسيه يا «أوليفيا» إلى الأبد. فجالت بنظرها في أبعاد الغرفة وكأنها تبحث عن شيء، وقالت والضياع يقطع صوتها:

– أنسى! أنسى! كيف أنسى من علمني معنى الحب الحقيقي ومعنى السعادة؟ كيف أنسى من أرشدني إلى طريق الحياة؟ فأخذ «دانيال» يدها وراح يداعب أناملها وقال:

– سوف أحاول أن أشتري بطاقات لنحضر الحفلة، أعدك أنني سوف أفعل ذلك من أجل أن تعود البسمة إلى شفتيك الجميلتين.

ومرت الأسابيع الثلاثة لم تعرف فيها «أوليفيا» طعم النوم ولا الراحة، لم يتوقف ذهنها عن التفكير والتحليل، وحين حل موعد الحفلة، اصطحبها «دانيال» إلى صالة المهرجانات الدولية في المسرح الملكي حيث كان من المقرر أن يعزف «ماكير» بعد غياب طويل.

كانت الصالة تغص بجمهور كبير جاء من مختلف أنحاء البلاد للاستماع إلى العازف الشهير... إلى العازف الذي تشوّق إلى رؤيته من جديد. فجأة غمر الصمت الصالة المليئة، فالتفت الجميع إلى المسرح المقابل ورأوا الستار بدأ يرتفع شيئًا فشيئًا. كانت آلة البيان في وسط المسرح تنتظر وصول سيدها الذي ظهر بعد دقائق، وجلس إليها بعد أن حيّاه الجمهور بتصفيق حار وطويل. شعرت «أوليفيا»

أن الناس يصفقون لها... يصفقون للرجل الذي أصبح جزءًا لا يتجزأ من كيانها، ثم انتظر «ماكير» حتى انتهى التصفيق فرفع يديه واستعد للعزف وراحت أنامله تداعب البيان وتعزف قطعة لأحد أشهر مؤلفي الموسيقى... «موزار».

كان عزفه أجمل من الماضي، كان أشبه بنسيم عليل يلفح وجه صبية فاتنة تركض وراء الفراشات وتلملم عبير الأزهار... تهيم حالة لتلتقط أشعة قوس قزح، وتخيط منها ثوبًا ترتديه قبل لقائها بحبيبها.

في تلك اللحظة شعرت «أوليفيا» بأنها هي تلك الصبية العاشقة، وقد علت صهوة جواد الأوهام وسافرت إلى بلاد سحرية، حيث جمعتها الذكريات بحبيبها «ماك». كانت تتذكر الأيام السعيدة القليلة التي قضتها بجانب زوجها، وما زالت نار الحب تضطرم في أعماقها والحنين يختلج في كل خلية من خلاياها. وفيما هي تحلم، ناداها «دانيال» قائلا:

– «أوليفيا»! «أوليفيا»! هل تشعرين بأي سوء؟ أجابت بعد هنيهة:

– لا! إني في حالة جيدة! أعتذر عن شرودي، كنت أفكر. لم يطلب «دانيال» منها اعتذارًا فقال:

– أردت فقط أن أنبهك إلى أن موعد الاستراحة قد حان، يمكننا

الخروج قليلا إذا شئت، وإنني أرغب في فنجان قهوة، وأنت كذلك؟ فأجابت «أوليفيا» برجاء:

– إنني في الحقيقة يا «دانيال»، أرغب في... أرغب في... وسرعان ما قال لها «دانيال»:

– أعلم أنك ترغبين في مقابلته، ولكن من المستحيل أن... أقصد أنك يا«أوليفيا» لن تستطيعي. تشجعت عندها وقالت:

– أرجوك يا «دانيال» أن تساعدني، أريد أن أراه ولابد من ذلك، كما أنني أريدك أن ترافقني. وأصر «دانيال» على موقفه، قال:

– ولكن لا يحق لأي أحدٍ كان أن يقابله الآن، فلقد اتُخذت تدابير وإجراءات مشددة بهذا الخصوص. فأجابت والكلمات تذوب على شفتيها من كثرة الشوق المتأجج في داخلها:

– أنسيت أنني زوجته؟ لن يمنعني أحد من مقابلة زوجي. فرضخ «دانيال» للأمر الواقع وقال:

– حسنًا! إن كنت ترغبين في ذلك فهيا بنا. غمرت الفرحة قلب «أوليفيا» وطبعت قبلة شكر وامتنان على خد صديقها الوفي، واتجها معًا إلى الغرفة التي كان «ديلاني» يستريح فيها قبل أن يعود للعزف. وبعد أن اجتازا الممر الأول وقطعا حواجز عديدة، بقي أمامهما حاجز واحد هو حارس غرفة السيد «ماكير كونال ديلاني» الشخصي، استوقفهما الحارس قائلا:

– إلى أين من فضلكما؟ لكن «أوليفيا» لم تبال بسؤاله واقتربت من باب الغرفة، فتقدم منها الحارس وسألها من جديد:

– إلى أين يا سيدة؟ لا يحق للجمهور أن يدخل غرفة السيد «ديلاني»، ولا يمكن لأي شخص أن يقابله إذا لم يحمل تصريحًا موقعًا بذلك. فالتفتت «أوليفيا» إلى الشاب الوسيم وابتسمت ثم قالت له:

– ولكني لست من الجمهور ولست أيًّا كان أيها الشاب، إني زوجة السيد «ماكير»، وأنا أصر على مقابلته لأمر عاجل وضروري يتعلق به شخصيا. أرجو أن تدعني أدخل. حين أدرك الحارس صدق ما تقوله قال لها:

– حسنًا، اتبعيني من فضلك. فلحقت بالحارس الذي رجا «دانيال» بالبقاء خارجًا، وطرق باب إحدى الغرف، ثم دخلها وسمعته يقول:

– في الخارج يا سيدي سيدة تدعي أنها زوجتك، وهي تصر على مقابلتك شخصيا. فعلا صوت «ديلاني» قائلا:

– دعها تدخل يا «سندي»، إنها حقًّا زوجتي، أشكرك لأنك أرشدتها إلى مكان وجودي. فخرج الحارس ودعا «أوليفيا» إلى الدخول ففعلت، لحظات ووجدت نفسها أمام زوجها الذي كان يقف قرب نافذة تطل على الباحة الخارجية، لم يدعها تنطق

بكلمة واحد حتى إنه لم يلق عليها التحية، ولم يرحب بها بل اكتفى بالقول:

– لماذا كنت مصرة على مقابلتي؟ ما هي الرسالة المستعجلة التي تحملينها إليَّ؟ فقالت «أوليفيا» بهدوء:

– أريد أن أهنئك قبل كل شيء، فلقد كان عزفك رائعًا، ثم إنني... إنني... فقال «ماك» بصوت حازم:

– أرجو أن تسرعي وتقولي ما لديك، فأنا على عجلة من أمري، فوقت الاستراحة قد ينتهي بعد لحظات. لم تدرِ من أين تبدأ فسألته:

– أتذكر يا «ماك» اليوم الذي زرتني فيه آخر مرة؟ ألم تقل حينها إنك تريدني أن أعود معك؟ إنني يا «ماك» أريد ذلك من كل قلبي، أنا... أريد أن أبقى بقربك وأعيش إلى جانبك كل حياتي المقبلة. لم تكن تتصور أنه سوف يضمها إلى صدره بهذه السرعة، ولم تخفِ انذهالها حين راح يقبلها بشوق وحرارة، لكنه أبعدها عنه فجأة، وارتسمت على شفتيه بسمة سخرية وقال:

– أنا آسف يا عزيزتي، ولكني لم أعد أحتاج إليك ولا إلى وجودك بقربي. ولشدة دهشتها التزمت «أوليفيا» الصمت ولم تجد أية كلمة تقولها، فتابع كلامه وسألها:

– هل جئت بمفردك؟ لم تكن تريد أن تذكر اسم «دانيال» أمامه

فأجابت قائلة:

– أجل، لقد جئت بمفردي. عندئذ دخلت «أنيتا» وكأنها كانت تستمع إلى الحوار بأكمله وقالت لـ«ماك»:

– لا تصدقها يا«ماك»، إنها تكذب، لقد رأيت رجلا يرافقها إلى هنا، وهو بانتظارها في الخارج، أظن أن اسمه «دانيال». فالتفت «ديلاني» بغضب إلى زوجته وقال بنبرة قاسية:

– اخرجي أيتها الكاذبة! اخرجي فورًا من غرفتي! هيا! ولكن «أوليفيا» احتجت قائلة:

– ولكن يا «ماك»، دعني أشرح لك الأمر. لكنه راح يدفعها إلى الخارج وكأنه يطرد كلبه «راف» من غرفته وصاح في وجهها:

– أمرتك بالخروج فورًا، فإن لم تفعلي فسوف أخرجك بالقوة. وعلى الفور خرجت «أوليفيا» وارتمت بين ذراعي «دانيال» الذي كان ينتظرها، وراحت تبكي على كتفه، ولاحظت أن حشدًا من الصحافيين قد أحاطوا بهما، وراح يأخذ الصور ويطرح الأسئلة، فحاول «دانيال» إبعادهم وهو يمسك بيد «أوليفيا» ويجرها وراءه. وحين تخلصا من عدسات المصورين، لم يكن أي منهما يرغب في حضور القسم الثاني من الحفلة الموسيقية، فاستقلا السيارة ورجعا إلى المنزل. وحين وصلا إليه دعت «أوليفيا» «دانيال» للدخول، لكنه رفض إزعاجها وتفهم رغبتها في الانفراد، فقبلها وقال:

www.rewity.com

– كلانا بحاجة إلى الراحة هذه الليلة، أفضل أن أذهب إلى البيت، انتظريني غدًا سوف نتناول معًا طعام الفطور. فقالت له:

– حسنًا! إني بانتظارك. إنني آسفة على هذه الأمسية التي قضيتها معي يا«دانيال»! لا تنس أن تأتيني بالجريدة يوم غد. وعدها بألا ينسى ذلك، وسار نحو بيته المجاور بينما سارت «أوليفيا» نحو غرفتها، ورمت بنفسها فوق السرير لتخنق صوتها الصارخ ودموعها الجارفة، لم تستطع أن تنام، فسهرت مع الليل وظلمته، وراحت تحدثه وتردد كلمات أغنية تحبها:

«حين كنا معًا، كان صوته في الليل يقول لي وأنا أستمع إلى همسه... أحبك، أحبك حتى تقع نجوم الليل نجمة نجمة، ولكن الحب انتهى، وسكت الصوت ولم تقع أية نجمة، فالكلام كلام والأحلام أحلام وتبقى الأيام أيامًا تجرف معها أمانينا» ثم قامت عن سريرها فحدقت إلى المرآة ورأت وجهها المضطرب، بدت شبيهة بمجنونة، نسيت من تكون ونسيت نفسها الحقيقية، ودنت من الصورة المعلقة على الجدار وراحت تقول وكأنها تحدث «ماك» «لماذا فعلت بي هذا؟ هل أستحق كل هذا العذاب؟ أنا التي أنقذتك وأعدتك إلى الحياة!» ثم أجهشت بالبكاء وظلت تبكي حتى استسلمت للرقاد.

في صباح اليوم التالي استفاقت على دقات الباب، فأسرعت

لتفتحه، وإذا بـ«دانيال» يقول:

– صباح الخير يا سيدتي الجميلة، صباح الجمال و... توقف ثم تابع قائلا:

– ولكن ما بالك؟ هل كنت لا تزالين نائمة؟ إنك حقًا كسلة، لقد قاربت الساعة العاشرة، هل نسيت أنك دعوتني لطعام الفطور؟ فقالت «أوليفيا» وهي تطلق ضحكة:

– تقصد أنك أنت الذي دعوت نفسك لطعام الفطور. أخذا يضحكان وسارا نحو المطبخ حيث راحت «أوليفيا» تعد الطعام ثم سألته:

– بالمناسبة هل اشتريت لي جريدة الصباح؟ فأجابها قائلا:

– طبعًا! ولكني لم أقرأها بعد، على كل حال، سوف أطلعك على محتواها، أما أنت فعليك أن تهتمي بالطعام؛ إذ إنني أشعر بجوع شديد. وبينما «أوليفيا» تعد طعام الفطور، راح «دانيال» يقرأ لها العناوين ثم توقف عند أحدها وحاول أن يقلب الصفحة، لكن «أوليفيا» انتبهت إلى ذلك وسألت:

– ما بالك يا «دانيال» توقفت فجأة؟ هل نسيت خبرًا؟ فأجاب بارتباك:

– إنه.. إنه خبر سخيف، لا يهمنا أبدًا. فقالت «أوليفيا»:

– ولكني أحب الأمور السخيفة. هيا اقرأه لي. لم يفعل «دانيال» ما طلبته منه. فنزعت الجريدة من يده وقرأت العنوان (السخيف)،

www.rewity.com

ولكن سخافته أزعجتها كثيرًا خصوصًا عندما رأت الصورة التي نشرت تحت العنوان، وقد ظهر فيها «دانيال» وهو يعانقها و«ماكير» يعانق «أنيتا». كان القسم الأول من الصورة مأخوذًا يوم الحفلة، حين طردها «ماكير» من غرفته ولجأت إلى «دانيال» المنتظر في الخارج، أما القسم الثاني منها فقد أخذ يوم قصدت «أوليفيا» مكتب «فالتون» في «لندن» ودعاها إلى الردهة حيث أشار بيده إلى «أنيتا» وهي تغادر المكان برفقة «ماكير»، عندها التفتت «أوليفيا» إلى «دانيال» واعتذرت إليه قائلة:

– إني آسفة يا «دانيال»، لم أكن أبغي توريطك في مشاكلي.

فاقترب منها «دانيال» وقال:

– أرجوك ألا تعتذري. فإنني لا أكترث لما ترويه الصحافة من سخافات، وكل ما يحاولون فعله هو تحطيمك، ولكني لن أسمح لهم بذلك، لاتخافي يا حبيبتي، إني دومًا إلى جانبك، ولن أتركك أبدًا. كم تمنت لو كان «ديلاني» هو الذي يقول ما قاله «دانيال»، ولكن الآمال لا تتحقق دائمًا بسهولة، فجأة رن جرس الهاتف فأخذت «أوليفيا» السماعة وارتعشت حين سمعت صوت «أنيتا» يقول:

– اسمعيني جيدًا يا سيدة «أوليفيا»، إياك أن تحاولي رؤية «ماكير»! إني أهددك، وأعتقد أنك قرأت جريدة اليوم، فإن كنت

تهتمين بالمحافظة على سمعة «ماكير» فما عليك إلا أن تبتعدي عن طريقه، وإلا فإني في المرة القادمة سوف أنشر في الصحف قصة لقائك الأول به... كيف كان في حالة يرثى لها وأجبرك على الزواج به، سوف تصدق الصحف كل ما أقوله، فإياك ثم إياك أن تحاولي رؤيته من جديد. توقفت «أنيتا» عن الكلام قليلا ثم أضافت:

– قد لا أكون أحب «ماكير» بقدر ما تحبينه أنت ولكني أريده لي، ولي أنا وحدي، أفهمت؟! وأقفلت السماعة دون أن تترك لـ«أوليفيا» مجالا للرد، وعادت إلى المطبخ حيث كان «دانيال» قد أعد المائدة وجلس إليها، فقالت له:

– أعتذر يا«دانيال»، كانت مجرد مكالمة سخيفة مثل العنوان السخيف الذي نشرته الصحف. وما إن انتهيا من تناول الفطور حتى غادر «دانيال» المنزل وهو يقول:

– لدي بعض الأعمال، سوف أمر بك بعد الظهر. وفور خروجه اتصلت «أوليفيا» بالصحافي «بيتر إيفنس» وقالت له بعد أن قدمت نفسها:

– أرجوك يا «بيتر» أن تساعدني، أريد أن أنتقل إلى المزرعة، وعليك أن تهتم بإعادة ترميمها، إني أملك ما يكفي من المال لذلك.

فأجابها قائلا:

– حسنًا! سوف أساعدك. إن لوالدي خبرة كبيرة في هذا المجال

www.rewity.com

وسوف أجعله يهتم بالأمر. فعادت «أوليفيا» لتضيف:

– سوف أطلب منك طلبًا آخر يا «بيتر»، إني أريدك أن تنشر القصة التي سوف أخبرك بها إن «أنيتا» و«فالتون» يهدداني باستمرار، وقد قالت لي إني إذا لم أكف عن ملاحقة ومقابلة زوجي فسوف تنشر قصة تسيء إلى سمعته، لذلك أريدك أن تنشر قصتي قبل أن تفعل هي وقبل أن يفوت الأوان.

– حسنًا! أعدك بذلك يا سيدة «ديلاني». وعندما انتهت من حديثها مع الصحفي، اتصلت بمنزل زوجها. وحين رد بنفسه على الهاتف، قالت له بارتباك:

– أريد أن أتحدث إلى السيدة «فابر» من فضلك، إني أريدها أن تحزم ما تبقى لي من أغراض كي أمر وآخذها. فأجابها «ماكير» بلهجة هازئة:

– إذن، فأنت تستعدين للانفصال النهائي عني، هل شجعك صديقك «دانيال» على القيام بهذه الخطوة الجريئة؟ وأضاف بعد أن ضحك:

– كيف تدعين أنك تحبينني وأنت تتركينني بهذه السهولة؟ فقالت بغضب:

– ماذا ينفع حبي لك وأنت تحب امرأة أخرى؟ أرجوك، أريد أن أتحدث إلى السيدة «فابر». فطمأنها بلهجة ساخرة:

– لا تخافي. سوف تتحدثين إليها يا عزيزتي. وعندما تحضرين لتأخذي أمتعتك، لن تجديني هنا؛ لأني ذاهب، أعني مسافر إلى «أمستردام» و«باريس» و«ميونيخ»... فسألته بارتباك وقلق:

– كم ستدوم رحلتك يا «ماك»؟ أجابها بكل هدوء:

– طويلا! الوداع! ثم نادى على السيدة «فابر» لتتحدث إلى «أوليفيا». وبعد أن انتهت من كلامها، استقلت «أوليفيا» سيارتها وقصدت منزل «ماكير»؛ لكي تستعيد أغراضها، وعندما انتهت من مهمتها، ودعت السيدة «فابر» والدموع في عينيها، واتجهت إلى سيارتها حيث وجدت «راف» بانتظارها على المقعد الخلفي، فقالت لنفسها وللسيدة «فابر»:

– ولكنني لا أستطيع أن أصطحبه معي، قد يغضب ذلك السيد «ماك»، لا أستطيع. لكن السيدة «فابر» أصرت على أن تصطحب «راف» وقالت:

– لن يرجع السيد «ماك» إلا بعد مدة طويلة، و«راف» الآن بحاجة إلى من يعتني به ومن يحبه. فقبلت «أوليفيا» وأجابت بعد تردد:

– حسنًا، سوف يبقى معي، وحين يعود السيد «ماك» من سفره، لن يجده ولن يجدني أبدًا. سنكون قد رحلنا معًا إلى مكان يجهله تمامًا. بعد أن قالت «أوليفيا» ذلك... أدارت محرك سيارتها ورحلت.

www.rewity.com

- 9 -

ومن جديد انطلقت «أوليفيا» من الجنوب نحو الشمال، باتجاه مقاطعة... قصدتها للمرة الأولى منذ ثلاثة أشهر تقريبًا، وكان شهر آذار (مارس) ينذر بالمطر والعواصف آنذاك، ويلف الضباب المنطقة فيحجب عنها نور الشمس، أما اليوم فإن رحلتها الثانية تختلف تمامًا عن الأولى، فقد بدأ شهر حزيران (يونيو) وملم المطر خيوطه وهدأت العواصف والرياح. وعلى الرغم من أن درجة الحرارة مرتفعة فالغيوم الداكنة لا تزال متلبدة في السماء، حين اقتربت السيارة من المزرعة، أخرج «راف» رأسه من نافذة المقعد الخلفي، وراح ينبح معبرًا عن فرحته بالرجوع.

كان في المزرعة بضعة عمال يعملون على ترميمها، وبعضهم يركب النوافذ والبعض الآخر يهتم بالهندسة الداخلية، ثم تقدم من «أوليفيا» رجل هرم تأكدت أنه والد «بيتر إيفنس» فقالت له:

- مرحبًا يا سيد «إيفنس».

- أهلا وسهلا يا سيدة «ديلاني»، لقد جئت باكرًا. مازال عندنا بعض الأعمال نقوم باتمامها. فأجابته مبتسمة:

- أعرف ذلك جيدًا يا سيد «إيفنس» لكنني لم أعد أحتمل الانتظار، لا بأس، لن أبارح غرفتي قبل أن تنتهوا من العمل، هل يوافقك

ذلك؟ فقال معتذرًا:

- ولكني يا سيدة «ديلاني» لم أقصد ذلك، كنت على النقيض، أخشى أن يزعجك الضجيج، يسعدنا كثيرًا بقاؤك معنا وإشرافك على العمل. فشكرته قائلة:

- شكرًا يا سيد «إيفنس». أرجو أن ينتهي العمل في هذه الورشة في أقرب وقت ممكن. فطمأنها قائلا:

- تأكدي يا سيدة «ديلاني» أنها مسألة أيام قليلة! بعدها تعرفت إلى المهندس الذي يشرف على عمل الترميم فقدم لها نفسه قائلا:

- اسمي «بيشوب». إني متعهد البناء والمهندس المشرف عليه، لقد أبرمت عقدًا مع السيد «بيتر إيفنس» بناء على طلبك على ما أعتقد. فهزت رأسها وقالت:

- إني على علم به. ثم سألته:

- أرجو أن يكون العمل سائرًا على وجه حسن، هل ثمة مشكلة تعترضكم؟ قال مجيبًا:

- لا! لا توجد أية مشكلة يا سيدة «ديلاني»، إلا أن البيت بحاجة إلى أثاث ومفروشات، أعني... فقاطعته «أوليفيا»:

- أعرف ما تعنيه، بالطبع سوف نشتري الأثاث الضروري لاسيما أنه سوف يكون منزلا لي، أقطن فيه باقي أيام حياتي، المهم أنه بدأ يتخذ من الخارج شكل منزل على الأقل. وضحك الاثنان على

www.rewity.com

ملاحظة «أوليفيا» التي أضافت قائلة:

– سوف أشتري المفروشات فور انتهائكم من الترميم. فأجابها المهندس:

– سوف ننتهي منه هذا الأسبوع إن شاء الله، ونجعله يليق بملكة أو أميرة. ثم سألها السيد «إيفنس» قائلاً:

– إن المنزل يلزمه الكثير من الأثاث، وقد يكلفك ذلك غاليًا، أعتذر عن فضولي، ولكني أردت فقط أن أطلعك على الأمر. فشكرته «أوليفيا» وقالت:

– لا تشغل بالك من هذه الناحية، لقد ماتت خالتي وتركت لي... وقاطعها السيد «إيفنس»:

– لقد أخبرني ابني «بيتر» ولكني أردت أن أطلعك على الأمر فقط. ثم ابتسم وتابع كلامه وفي عينيه بعض الكبرياء:

– تعالي لأريك المطبخ الذي صممته. وحين دخلا إليه قال:

– ألا يعجبك؟ انظري إلى الجدران، إن ورقها جميل وقابل للغسيل.

كان السيد «إيفنس» فرحًا جدًا بالمطبخ الجديد الذي صممه ويشبه في فرحه طفلا انتهى من رسم صورة أمه. ابتسمت «أوليفيا» للعجوز وقالت:

– إنه جميل جدًا، هل اخترت كل ذلك بنفسك؟ سكت لحظة ثم

قال:

– في الحقيقة، إن زوجتي هي التي اختارت الألوان، ولكني أنا الذي اخترت النوعية والجودة. ردت «أوليفيا»:

– شكرًا لك ولزوجتك اللطيفة. ثم التفتت إلى السيد «بيشوب» وقالت:

– لا أعرف كيف أشكركم جميعًا يا سيد «بيشوب». فقال «إيفنس»:

– الفضل يعود لك يا سيدة «ديلاني»، إذ لم يفكر أحد في إعادة تشييد هذه المزرعة المهجورة، إنك حقًا جديرة بامتلاكها، فقد أهملتها عائلة «آثرلاي» بعد أن ماتت الزوجة، وتشتت الأولاد كل منهم في بقعة من هذه الأرض الطيبة. فجأة سمع صوت محرك سيارة في الخارج، فأسرعت «أوليفيا» إلى الباب الذي كان مفتوحًا لتستقبل الزائر المجهول، وشاهدت الصحفي «بيتر إيفنس» الذي حياها قائلا:

– مرحبًا يا سيدة «أوليفيا»! ما هذه المفاجأة السارة! منذ متى وصلت إلى المزرعة؟ و«راف» أيضًا معك! فنبح «راف» وكأنه يلقي التحية على الزائر الجديد. وقالت «أوليفيا»:

– وصلت منذ وقت قليل، ما الذي جاء بك إلى هنا؟ هل تحمل رسالة إلى والدك؟ فأجابها قائلا:

– لا! لقد أتيت لأقابلك أنت بالذات والرسالة التي أحملها تخصك أنت. لقد اتصلت بك في المنزل، ولكنك لم تجيبي، فقلت لنفسي إنك ربما أتيت إلى المزرعة وكنت على صواب. توقف قليلاً ثم أضاف:

– جئت أطلعك على المقالة، أريدك أن تقرأي القصة التي رويتها لي البارحة على الهاتف. عندها قاطعهما والد «بيتر» قائلا:

– يمكنكما البقاء في المطبخ، فهو نظيف. وبعد أن قبلا دعوة العجوز، أخرج «بيتر» من حقيبته ثلاث أوراق وضعها على الطاولة وشرع يقرأها على مسمع «أوليفيا». ثم قال «بيتر»:

– أرجو أن تكون القصة مطابقة لما قلته لي البارحة، فلم أشأ أن تطول المكالمة الهاتفية؛ نظرًا للتكاليف وثمن الاتصالات الباهظ وكنت أخشى أن... فقالت «أوليفيا»:

– لا يجب أن تخشى شيئًا يا «بيتر» فأنا... أكمل عنها قائلا:

– أعرف أن خالتك الثرية تركت لك كل ثروتها، ولكنني أردت أن أقول إن قصتك كانت قصة حب على ما أعتقد، ولم أشأ أن تكون للقصة... توقف قليلا ونظر إليها ثم تابع كلامه:

– لم أشأ أن تكون نهايتها نهاية حزينة ومؤلمة، بل أردتها أن تكون سعيدة، لنقل إنني لم أشأ أن تكون للقصة أية نهاية. ثم حدق إلى عينيها وسألها:

– لا أظن أن هذه القصة انتهت، أليس كذلك يا سيدة «أوليفيا»؟ فحدقت «أوليفيا» إلى الأوراق التي تروي حكاية حبها وقالت ونبرة من الحزن تمسح صوتها:

– إن لم تنته الآن فسوف تنتهي حتمًا عما قريب. أخذ «بيتر» يدها وشد عليها ثم قال:

– هيا ابتسمي، إن الحزن يخفي جمال عينيك. وأضاف:

– هل تعتقدين أنني قد أدع شيئًا من هذا القبيل يهدد الزواج الذي كنت أحد شهوده، وكأنني فقط متفرج على فيلم انتهت إحدى حلقاته؟ اقرئي يا سيدة «ديلاني» ما كتب على هذه الصفحة. فنظرت إليه وقالت:

– أرجو أن تناديني «أوليفيا». ثم أخذت تقرأ الكلمات التي خطتها يد «بيتر إيفنس». وبدأت القصة منذ اليوم الذي ضاعت فيه «أوليفيا» في الضباب، حين توقف محرك سيارتها في قلب مقاطعة «يوركشاير»، يوم راحت تبحث فيه عن مكان يُؤويها ريثما تهدأ العاصفة ويضمحل الليل، وتروي كيف رأت الضوء من بعيد وكأنه سراب نسجه خيالها، ولكنها حين سمعت نباح كلب قريب، سارت باتجاه الضوء ودقت على الباب الذي يتسرب منه. وتحدثت القصة عن الرجل الذي كان يسكن في هذه المزرعة وعن الأكاذيب التي ذكرها بشأن جرائمه وسرقاته، ليخيف الزائرة

الغريبة التي أزعجت وحدته وانفراده، وكيف خافت الزائرة من تهديداته للوهلة الأولى، ولكن شعورًا غريبًا في داخلها بدد خوفها، وأحست منذ أول لحظة كلمها فيها أنها تحبه وتميل إليه كثيرًا، كان حبها له حبا من النظرة الأولى. وتابعت «أوليفيا» المقال الذي كتب... شعرت بأن هذا الرجل كان يختلف عن كل الناس الذين ربطتني بهم علاقة سطحية أو مجرد صداقة، أما هو فكانت علاقتي به تختلف تمامًا، كانت حالته الصحية سيئة بسبب المرض، لقد اعتنيت به وسهرت الليالي قرب سريره حتى تحسنت صحته، وحين طلب يدي للزواج، لم تصدق أذناي ما سمعته، وكان ذلك اليوم أسعد أيام حياتي. وكتب المقطع الأخير من المقال: «وكان حبي له يزداد يومًا بعد يوم فكنت أحبه حبًا كبيرًا وما زلت». عندئذ نظر «بيتر» إليها وقال:

– كيف وجدته؟ هل أعجبك المقال؟ أجابته:

– إنني لا أدري كيف أشكرك يا «بيتر».

– إنني أقوم بواجبي، أنسيت أنني شاهد على زفافكما؟ لذلك سوف أبذل جهدي للمحافظة على هذا الزواج، لقد حاولوا أن يهددوك ولكن هذا المقال أقوى من تهديدهم ومن سلاحهم الحقير، إنني أحاول أن أتصور وقعه عليهم. ضحك الاثنان وسمعت أصداء ضحكاتهما من الخارج، فوافاهما والد «بيتر» إلى المطبخ وسأل:

– هل انتهيت من صنع القهوة يا سيدة «أوليفيا»؟ فاعتذرت وقامت تعدها لهم، وبعد أن شربوا القهوة قال «بيشوب»:

– إنني أعتذر يا سيدة «ديلاني». يجب أن أذهب، فلدي بعض الأمور أسويها، إلى اللقاء. فودعه الجميع وخرج، ثم رمق السيد «إيفنس» ابنه بنظرة استفهام وسأله:

– هل حدّثت السيدة «ديلاني» عن هذه الأمسية؟ فأجابه «بيتر»:

– لا يا أبي، لم أفعل بعد، ولكني لم أنس ذلك. والتفت «بيتر» إلى «أوليفيا» فقال لها:

– إني باسم عائلة «إيفنس» أدعوك إلى سهرة في منزلنا هذه الليلة، حيث تعد والدتي طعام العشاء على شرفك. فسألت «أوليفيا» بابتسامة:

– وما المناسبة يا سيد «إيفنس»؟ أجابها الابن:

– سوف يقدم التلفزيون برنامجًا شيقًا، أرجو أن تشاهديه معنا، وهو عن عازف شهير من بلادنا، يعزف اليوم في «أمستردام»، وإن التلفزيون ينقله مباشرة من «أمستردام» عبر الأقمار الصناعية. فهتفت «أوليفيا» قائلة:

– أتعني «ماكير»؟ فاستفسر «بيتر»:

– هل تحبين مشاهدته؟ قالت والدموع تملأ عينيها:

– أوه! أرجوك يا «بيتر»... فاقترب منها وقال:

– إذن فما عليك إلا أن تحضري في المساء عند الساعة السابعة والنصف تقريبًا، فالبرنامج يبدأ تمام الساعة الثامنة. ثم أضاف قائلا:

– سوف أذهب الآن لإكمال هذا المقال، أقصد أن أضع عليه اللمسات الأخيرة قبل أن أسلمه إلى المطبعة. سوف ينشر خلال يومين على الأكثر. لكن «أوليفيا» كانت خائفة من ردة الفعل التي قد تنتج عن نشر هذه القصة فقالت له:

– إني خائفة يا «بيتر». لا أحد يعرف مكان وجودي إلا أنت، أرجوك لا تعطِ عنواني لأحد حتى ولو طلبه منك «ديلاني». لكنه طمأنها قائلا بشيء من السخرية:

– لا تخافي، لن أخبر أحدًا عن مكان وجودك، ولكنني أخشى فضول الصحافيين الذين قد يهتدون إليك، ولكني أعدك بمعالجة الأمر، لاتخافي، فأنا بجانبك. فشكرته «أوليفيا» وقالت:

– سوف نلتقي عند المساء في منزلك.

بعد أن ذهب العمال، بقيت وحدها في المنزل. وحين بلغت الساعة السادسة أسرعت فارتدت ثوبًا أبيض يشبه فستان زفافها، وتوجهت إلى منزل «بيتر». كانت دقاتها على الباب تمتزج بدقات قلبها، وأحست على الرغم من بعده عنها بأنها ستلتقيه بعد لحظات، فالساعة ستبلغ الثامنة بعد عشر دقائق. وبعد أن تعرفت إلى

السيدة «إيفنس»، اتجه الجميع إلى غرفة الجلوس حيث كانت المذيعة تعلن موعد افتتاح الحفلة الموسيقية، ونقلها مباشرة من «أمستردام»؛ إرضاء لجمهور «ماكير كونال ديلاني» الكبير. حين رأت «أوليفيا» صورة زوجها أحست بأن لقلبها أجنحة طارت بها إليه، ولم تعد تشعر بالمسافات التي تفصل بينهما، وأحست أنها بالقرب منه، تعزف معه أنشودة الحب، واتحدت يداها بيديه وهما تداعبان البيان وسرت في عروقها نشوة. كانت عائلة «إيفنس» تنظر تارة إلى العازف الماهر وطورًا إلى الحبيبة العاشقة، وحين انتهى العزف عاد الطائر الحزين إلى عشه وطوى أجنحته المتكسرة. حطمت السيدة «إيفنس» طوق الصمت، وقالت لـ«أوليفيا»:

– إنه عازف ماهر يا سيدة «ديلاني». إنني فخورة جدًّا بأن تكونا في جيرتنا. شكرتها «أوليفيا» وعيناها شاخصتان إلى زوجها الذي وقف لينحني مرتين أمام الجمهور الذي كان يردد اسمه بالهتاف:

– دي.لا. ني! دي. لا. ني! دي. لا. ني! لكن لم يعد بوسعها أن تسمع فرفعت يديها، ووضعتهما على أذنيها كي تحجب الصوت، ثم أغمضت عينيها لتنسى صورته وتخفف من الألم الذي أفعم قلبها، وعلى الفور أدرك «بيتر» حقيقة ما تشعر به «أوليفيا» فقام وأطفأ جهاز التلفزيون وقال:

– إني أشعر بالجوع، هيا بنا إلى المائدة! هل أنت جائعة يا

«أوليفيا»؟ هزها صوته، وكأنه أيقظها من حلم فأفاقت منه رغمًا عنها، لم تكن تشعر برغبة في تناول أي طعام، ولكنها لا تستطيع أن تخيب أمل عائلة «إيفنس» بعد أن عاملوها وكأنها واحدة من أفراد الأسرة، جلسوا إلى المائدة فحاولت «أوليفيا» أن تأكل قدر المستطاع من طعام السيدة «إيفنس» التي سألتها بعد وقت قصير:

– ألم يصب زوجك في ذراعه خلال حادث سيارة على ما أذكر؟

أجابتها «أوليفيا» بشيء من الانزعاج:

– أجل، ولكنها شفيت تمامًا والحمد لله. ثم توقفت قليلا وأضافت:

– إني أشكركم على هذه الأمسية الجميلة، سوف أذهب الآن لأني متعبة، أرجو أن تعذروني. وقامت لتخرج وقد تفهم الجميع شعورها، ورافقها «بيتر» إلى منزلها، لأن الساعة كانت قد قاربت الحادية عشرة ليلا.

دخلت المنزل ولم تجد فيه غير العتمة و«راف» الذي كان ينتظرها أمام باب غرفتها، توجهت مباشرة إلى الحمام لتغتسل علّ المياه تزيل عنها الكآبة، ثم تمددت على السرير وأشعلت سيجارة. وراحت الذكريات تعبر خيالها، تذكرت الليالي القليلة التي قضياها على هذا السرير، كان صوته مازال يهمس في أذنيها، وفمها مازال يذكر طعم شفتيه... ليتها كانت بقربه الآن، كم هي بحاجة إليه! ليتها سافرت إلى «أمستردام»! عندما غفت كانت الساعة قد

قاربت الثالثة بعد منتصف الليل. وما هي إلا ساعات قليلة حتى أطل الصباح، وجاء معه العمال والمهندس «بيشوب»، فاستيقظت «أوليفيا» على أصواتهم وضجيج المطارق، نهضت من فراشها لتلقي عليهم تحية الصباح وتعد لكل منهم فنجانًا من القهوة.

مر الوقت بسرعة، وبعد أن تناولت طعام الغداء برفقة المهندس، خطر ببالها أن تسمع أسطوانة من أسطوانات زوجها، وفيما راحت تستمع إلى الموسيقى العذبة سمعت صوتًا يناديها:

– «أوليفيا»! «أوليفيا»! أين أنت؟ فأجابت بأعلى صوتها نظرًا للضجيج الذي كان يحدثه العمال:

– أنا هنا يا «بيتر»! تعال! فدخل «بيتر» إلى الغرفة وهو يحمل جريدة أعطاها لـ«أوليفيا» قائلا:

– خذي واقرئي ثم أبدي رأيك. فأجابت ضاحكة:

– أعطني لأقرأ. وصرخت صرخة اندهاش حين قرأت المقال الذي يروي قصتها، ويتضمن صورة لـ«ديلاني» وهو يعانقها يوم زفافهما. وقالت:

– إنك رائع يا«بيتر»، ولكن المقال يتعدى الصفحتين وهذا غير معقول، لقد قدمت لي الكثير. أجابها «بيتر»:

– ولكن الصفحتين غير كافيتين للتحدث عن حب امرأة عظيمة لعازف بيان عظيم. فقالت بشيء من الخوف:

www.rewity.com

– إن المقال جيد والكلمات صحيحة ولكني... لم يدعها تتابع كلامها:

– لكنك تخافين من الأعداء، أليس كذلك؟ تنهدت بعمق وأجابت:

– ليس فقط من الأعداء، بل إني أخاف من ردة فعل «ماكير». فطمأنها «بيتر» قائلا:

– إن كان ما كتبته حقيقة فليس عليك أن تخافي أي شيء. ظل الخوف يسيطر عليها وعبثًا حاولت أن تتجاهله، وازداد خوفها حين هم «بيتر» بالانصراف، فعرضت عليه فنجان قهوة، لكنه رفضه قائلا:

– إنني على عجلة من أمري، قد أعود في المساء وأشرب قهوتك الطيبة، ولكني الآن على موعد مع ندوة صحفية تتعلق بالمقال الذي سوف يُنشر غدًا، جئت فقط أريك الصيغة النهائية، وغدًا ننشره في الصحف الدولية والمحلية. ثم توقف قليلا وسألها:

– هل تعلمين أنني أتقاضى مبلغًا كبيرًا من وراء هذه القصة؟ إنني أشعر بأن من واجبي اقتسامه معك. فضحكت «أوليفيا» وقالت:

– ولكني لست... فقال مقاطعًا:

– أعلم أنك لست بحاجة إلى المال، فأنت امرأة ثرية، على كل حال كل ما أتمناه هو أن يساهم هذا المقال في رجوع «ديلاني»

إليك، فتكون نهاية سعيدة لقصة حب جميلة. فأجابت «أوليفيا» بصوت حزين:

– إن أمنيتك وهم يا «بيتر»، فـ«ماكير» لن يعود إليَّ بعد الذي حصل بيننا، إنه على وشك الزواج من تلك المرأة الرهيبة، إنه يريد تلك اللعينة إلى جانبه. فسألها «بيتر»:

– وهل أنت متأكدة من أن «ماكير» يريد ذلك؟ فلماذا تزوجك إذن؟ كان باستطاعته أن يتزوج حين علم بأمر طلاقها، لقد رفض الزواج بها بسببك أيتها الغبية! ضحك قليلا وهو يضيف:

– هل نظرت يومًا في المرآة؟ ألم تشاهدي جمالك الفاتن؟ أنت مثال الأنوثة يا «أوليفيا» ولا أفهم كيف تخشى امرأة مثلك امرأة كـ«أنيتا برامبلا»، هي التي يجب أن تغار منك وتخشى جمالك. قال لها ذلك ثم خرج وقد زرع الأمل في قلبها من جديد. وبعد خروجه عادت «أوليفيا» تستمع إلى الأسطوانات وغفت على المقعد في الزاوية.

صباح اليوم التالي استيقظت على صوت والد «بيتر» يناديها:

– سيدة «ديلاني»! صباح الخير، هل نمت على هذا المقعد؟ فابتسمت له وقالت:

– لقد غلبني النعاس ونسيت نفسي هنا. رد لها الابتسامة وقال:

– جئت أبحث معك مسألة هندسة الحمام وأسألك عن الألوان المفضلة لديك. وحين بدأت تجيبه، سمعت في الخارج أصواتًا

غريبة، ورأت من النافذة سيارات عديدة تصطف أمام المزرعة، كان معظم القادمين من الرجال، وسرعان ما بدا لها أنهم صحافيون. فقالت للسيد «إيفنس»:

– يا إلهي! أرجوك، ساعدني على مجابهتهم! ماذا عليَّ أن أفعل؟ كيف أتخلص منهم؟ كيف عرفوا عنواني؟ أنا لم أعطه لأحد؛ كما أن السيدة «فابر» وصديقي «دانيال» لم يكن لديهما أية فكرة عن وجودي في المزرعة. رد السيد «إيفنس»:

– أرجو أن تهدئي من روعك يا سيدة ديلاني، لا تخافي، اذهبي وقابليهم؛ فأنت قوية ولديك القدرة على مجابهتهم، مهما كانت الأسلحة التي يصوبونها إليك. تشجعت «أوليفيا» ونزلت إلى الدار حيث احتشد عشرات الصحافيين والمصورين، ثم لحق بها «راف» وهو ينبح وكأنه يدافع عن سيدته التي سألها أحد الصحافيين:

– هل هذا الكلب معتاد على الغرباء؟ فأجابته «أوليفيا» بلهجة قاسية:

– لا! ليس معتادًا عليهم وهو يستعد لينقض عليكم جميعًا ويرمي بكم خارج منزلي. فقال أحدهم بشيء من السخرية:

– لن يخيفنا الكلب يا سيدة «ديلاني»، ولن يردعنا عن الهدف الذي جئنا من أجله. فنظرت إليه «أوليفيا» طويلا وسألت:

– وما هو الهدف الذي تريد تحقيقه أيها الشاب؟ فأجابها بكل

هدوء:

– القصة يا سيدة «ديلاني»! تلك القصة التي رويتها لزميلنا «بيتر إيفنس». فقالت وشيء من الغضب يسكن صوتها:

– إنها ليست مجرد قصة، إنها الحقيقة. فسألها صحافي آخر:

– يقولون إنك على وشك الطلاق من زوجك، هل هذا صحيح أيضًا؟ قالت ساخطة:

– ليس لدي أي تعليق على هذا القول. وحين أدركت أنهم قد يظنون هذا الخبر صحيحًا؛ لأنها لم تعلق عليه، أضافت:

– إنها مجرد إشاعة يتداولها الناس الذين لا يملكون أي عمل يقومون به. فسألها مرة أخرى:

– هل صحيح أن السيدة «برامبلا» ستتزوج بـ«ماكير ديلاني» بعد أن يطلقك؟ فصرخت بوجهه:

– ومن تكلم عن طلاق بيني وبين «ماكير»؟! سبق أن قلت لك إن قضية الطلاق مجرد إشاعة، لا أكثر. وحين رأتهم يكتبون، تساءلت عما يكتبونه ويدونونه، فهي لم تقل الشيء الكثير، وتابعت قائلة:

– إن السيدة «أنيتا برامبلا» مجرد صديقة لزوجي، وتربطها به علاقة عمل وثيقة... فهي عازفة موسيقى كما تعلمون، وقد جمعها عالم الفن بزوجي منذ زمن بعيد. وسألها صحافي ثالث:

www.rewity.com

– نرى أنك تعيدين بناء هذه المزرعة، هل ستعيشين فيها بمفردك؟ أجابته «أوليفيا» وكانت ثورة غضبها قد هدأت قليلا:

– لا! لن أعيش هنا بمفردي، عندي «راف». وأشارت بنظراتها إلى الكلب الذي راح ينبح حين سمع «أوليفيا» تردد اسمه، وفجأة علا في المدخل صوت مألوف يقول:

– فقط «راف»؟ ألم تنسي أحدًا؟ وإذا بالرجل صاحب الصوت، يدخل ويصب جام غضبه على الصحافيين قائلا:

– بحق الجحيم، ماذا تفعلون في منزلي؟ ومن أذن لكم في الدخول؟ فصرخت «أوليفيا» بدهشة قائلة:

– «ماكير»؟! «ماكير»! علق أحد الصحافيين على المشهد فقال:

– النهاية السعيدة. فالتفت «ماكير» إليه وقال ساخطًا:

– اخرج من بيتي، وإلا فستكون نهايتك غير سعيدة! اخرجوا كلكم من بيتي! هيا! فأجابه بكل وقاحة:

– قد تندم على ذلك يا سيد «ماكير». فرد «ماكير»:

– إنني نادم، لأنني لم أصل قبل الآن لأمنعكم من الدخول. فأصر الصحافي قائلا:

– قد نسيء إلى سمعتك. رد «ديلاني» على الفور:

– إني لا أكترث لسمعتي إطلاقًا! وأضاف بعد أن عانق «أوليفيا»:

– إن كل ما يهمني هو بقائي بجانب زوجتي. ثم نظر إليهم وكان الغضب قد تبدد من عينيه وقال بلهجة ساخرة:

– أرجو أن تتفهموا وضعي الدقيق، فأنا بحاجة إلى زوجتي، لقد وصلت لتوي من «هولندا»، ولم أر زوجتي منذ فترة طويلة وأنا مشتاق إليها، أعتقد أنكم فهمتم قصدي. فضحك الجميع وخرجوا من المنزل تاركين الحبيبين وحدهما.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

- 10 -

ابتعدت السيارات عن المزرعة، فترك «ماك» «أوليفيا» ودخل إلى المطبخ ليعد القهوة، لحقت به وقد أحست بأنه تبدل وتغير مزاجه، دنت منه فسألها:

- هل تريدين بعض القهوة؟ تجاهلت سؤاله وردت عليه بسؤال آخر:

- «ماك»، هل أنت بخير؟ صبَّ القهوة في فنجانه ثم أخذ منها رشفة واقترب من النافذة، أجال نظره في الخارج لكن «أوليفيا» عادت تسأله:

- «ماك»، لماذا لا تجيبني؟ أريد أن أعرف سبب عودتك إلى المزرعة؟ ولماذا رحت تلعب أمام رجال الصحافة دور الزوج الحنون؟ هل أردت أن ينشروا صورة الزوج المحب ويطبعوها في أذهان الناس؟ أم أنك تريد أن تجعل عشيقتك تغار؟ فالتفت إليها وقال بشيء من اللوم:

- كيف تجسرين على اتهامي بالتمثيل؟ أنت التي تلعبين دور الزوجة الحزينة التي تنتظر عودة الزوج بفارغ الصبر. توقف هنيهة ثم أضاف:

- هل أنت سعيدة الآن؟ لقد أخذوا منك كل ما أرادوه وسوف

يشرحون حياتك، بل حياتنا، ويحولونها إلى كلمات، فقط كلمات يطبعونها على الآلة الكاتبة وينشرونها لتقرأها العيون اللامبالية، ولتسخر منها الآذان غير المكترثة، إنها حياتي ولم يكن لك الحق في التصرف بها، إن هذه القصة تعنينا -أنا وأنت- وحدنا ولا تعني أحدًا سوانا، كانت الصحافة سبب خلافي مع «أنيتا برامبلا» وسبب وقوع الحادث وإصابة ذراعي. فصرخت «أوليفيا»:

- أرجوك يا «ماك»، لا تبالغ في ذلك، ولا تلق كل اللوم على الصحافة، ثم إنك لا تعرف السبب الحقيقي الذي رويت من أجله هذه القصة، وأطلعت «بيتر إيفنس» عليها. أجابها «ماكير» ساخرًا:

- طبعًا، هنالك سبب وجيه. كنت تغارين من الشهرة التي نلتها وأردت أن تلفتي الأنظار إليك؛ لأنك زوجة العازف الشهير. حدقت إليه «أوليفيا» طويلا، ولاحظت أن غضبه لم يدم إلا قليلا، ورأت في عينيه بريقًا هادئًا، تساءلت إن كان بريق الحب الذي عهدته في عينيه؟ أما زال يحبها؟ خطا «ماك» بضع خطوات نحو «أوليفيا» التي راحت ترتجف عندما وضع ذراعيه حول جسمها النحيل، ثم رفع رأسها ليحدق إلى عينيها. راحت أنامله تداعب خصلات شعرها المسترسلة على كتفيها وتلمس أطراف جفنيها التي بدت وكأنها تردد أنشودة فرح، وحين داعبت أنامله عنقها كانت تذوب

www.rewity.com

من الرقة، وتشعر بأنها عاجزة عن المقاومة، وأحنت «أوليفيا» رأسها على كتف حبيبها وراحت تردد:

– ما أحلى الرجوع إليه! ما أحلى الرجوع إليه! لكنه همس في أذنيها:

– أريد عناقك. ليته طلب منها أكثر من ذلك، فهي كانت على استعداد لتهب له كل شيء. وبعد أن عانقها قال وكأنه يسخر من زوجته:

– هيا! أخبري الصحافة أنك قبلت العازف الشهير، هل كنت تعتقدين أن القصة التي نشرتها الصحف قد تؤثر في مشاعري وتعيدني إليك؟ هل كنت تعتقدين أنها كافية لأسامح كل الأكاذيب التي قلتها لي في الماضي؟ ثم من دفع للمهندس والعمال؟ من أين لك كل هذا المال؟ هل يملك حبيبك مصرفًا؟ عندئذ صرخت «أوليفيا» بأعلى صوتها:

– إنني أنا من دفع المال وليس غيري! صدقني! فسخر من كلامها قائلا:

– كذبة أخرى.

– لا! إنها ليست كذبة. صدقني، إنها الحقيقة! لم تعرف يومًا أن خالتي كانت ثرية وقد ورثت كل أموالها وأملاكها بعد موتها، لقد دفعت من هذا المال لأرمم المزرعة. فضحك ضحكة مصطنعة وقال:

– كم أنا سعيد الحظ بزواجي من امرأة ثرية وكريمة! أوقفته عن الكلام وقالت:

– لم أعد أحتمل كلامك اللاذع وسخريتك المستمرة المؤلمة، إن كنت تجهل كل شيء عن ثراء خالتي فهذا يعود إلى إهمالك وعدم اهتمامك بحياتي السابقة، حين جئت إلى المزرعة لأول مرة، كنت بحاجة إلى امرأة تفي حاجاتك المادية، فوجدت ذلك في تلك المسكينة التي فقدت عائلتها ولم يكن لديها مأوى تلجأ إليه، وحين أدركت أنني لست سهلة المنال، قررت أن تلبسني خاتم الزواج لأستسلم لك، ولكني كنت مجنونة حين اعتقدت أنك تحبني، كنت معتوهة ومجنونة! جلست على المقعد وتقطرت الدموع من عينيها، لكن دموعها لم تؤثر في «ماك» الذي قال:

– كنت أنا الهدف الأساسي من نشر قصتك ولكنك فشلت في تحقيق هذا الهدف. فسألته قائلة:

– هل تظن أنك كنت أنت فعلا الهدف؟ كيف تخبره الحقيقة؟ كيف تقول له إن «أنيتا برامبلا» كانت هي الهدف؟ لو أخبرته ذلك لازداد غضبه، لاسيما أنه يحب تلك المرأة. فسألته:

– ماذا تريد أن تفعل الآن؟ هل تريد أن تطلقني؟ أجابها:

– اعتقدت أن الطلاق كان الهدف الوحيد من انفصالنا، كنت تريدين أن تطلعي العالم على أننا ما زلنا متزوجين؛ لذلك فضلت

أن أحضر إلى هنا وأعلن طلاقنا، سأمنحك الحرية الكاملة وأتركك تركضين إلى أحضان صاحبك، ولكني آسف أن أخبرك بأنني قررت البقاء هنا، هذه الليلة فقط، ومعك أنت بالذات. تركها وصعد إلى الغرفة، فلحقت به «أوليفيا»، وراحت تراقبه وهو يخلع ثيابه فالتفت إليها وقال:

– ما بالك؟ ألا تستطيعين أن تنتظري بضع دقائق؟! فقالت له:

– لن أسمح ليدك أن تلمسني، لن أدعك تفعل ذلك. فسألها متعجبًا:

– ولكن لم لا؟ فأجابت وهي تحدق إليه:

– لقد اصطحبت معك «أنيتا برامبلا» في جولتك الأخيرة، لا تحاول أن تقنعني بأنك لم تشاطرها الفراش، ولا تعتقد أنني انتظرتك بشوق لتأتي إليَّ بعد أن كنت مع تلك الحقيرة. أريد الطلاق يا «ماك»، الحقيقة هي أنني أنا التي أمنحك الطلاق؛ لتذهب إليها وترتمي في أحضانها. فهتف بتعجب:

– وتلوميني أيضًا؟ وتتهميني؟ فصرخت بوجهه:

– إني لا ألومك، ولا أتهمك، أعرف أنك تحبها وتفضلها عليَّ، لذلك أطلب منك الطلاق، وأفعل ذلك من أجلك. سألها ضاحكًا:

– من أجلي؟ كم أنت لطيفة وحساسة! لم أر في حياتي نزاهة تفوق أو تنافس نزاهتك، ما من حنان يوازي أو يعادل حنانك يا زوجتي

العزيزة! ثم أضاف غاضبًا:

– أنت تفعلين ذلك من أجلك وصاحبك «والتينغ»! فصرخت مرة أخرى:

– لا! لا تذكر اسمه كلما تنازعنا وتشاجرنا، إنني للمرة الأخيرة أقول لك إن «دانيال» صديق لي، لا أكثر. فأجابها:

– قولي ذلك للكلب، قد يصدقك «راف»، أما أنا فلن أصدقك مهما قلت ومهما فعلت. وأمام عناده وصراخه خرجت من الغرفة وتوجهت إلى المطبخ لتعد طعام الغداء الذي تناولاه بصمت، وبعد أن شربا القهوة بدأت «أوليفيا» الكلام:

– لقد رأيتك ليلة عزفت في مدينة «أمستردام»، كان عزفك... كان عزفك جيدًا، لا، بل إنها أجمل مرة سمعتك تعزف فيها. انتظر لحظات ثم أجابها:

– شكرًا لك على هذا الإطراء. فسألته:

– كنت تعزف في «هولندا»، فكيف عدت بهذه السرعة؟! أجابها:

– ولكنني لم أكن في الطرف الآخر من الأرض!

– ولكنك ذكرت أن سفرك طويل وقد يستغرق أسابيع. فابتسم دون أن يقول لها شيئًا فتابعت:

– كنت إذن تكذب علي حين قلت إنك ستبتعد لفترة طويلة عن

www.rewity.com

البلاد؟ سألها بانزعاج:

– ولكن ألا تكفين عن الأسئلة والكلام؟ ثم هل أزعجتك عودتي الباكرة والمفاجئة؟ هل أسأت إلى خططك ومشاريعك؟ هل كنت بانتظار...؟ فصرخت «أوليفيا»:

– اخرس! إنك حقًا لسافل. ونهضت لتخرج من الغرفة، حاولت أن تركض لكنه استوقفها وشدها إليه، فراحت تضربه وتقول:

– إنني أكرهك! أكرهك يا «ماكير كونال»! إنني أكرهك. لكنه حملها رغمًا عنها وصعد بها إلى الغرفة فرماها على السرير. عبثًا حاولت الهروب من بين يديه، ورغم شوقها حاولت «أوليفيا» أن تبعده عنها وظلت تصرخ:

– دعني يا «ماك»! لا، لا تفعل! أرجوك أن تدعني! إنني لست... إنني قد أكون حاملا. قالت ذلك بعد تردد، ولكنه بدا وكأنه لم يهتم بما قالته فأجابها:

– وهل تعتقدين أنني أهتم بذلك؟ فأغمضت «أوليفيا» عينيها لتحبس دموعها، كيف تخبره بأنها أسعد امرأة في العالم؟ كيف تقول له إن لا شيء بات يهمها أكثر من إنجاب هذا الطفل الذي تحمله في أحشائها؟ يا له من طفل تعيس بسبب والده القاسي! أرادت أن تصرخ في وجهه وتقول:

– إنني أريد هذا الطفل! إنني أريد طفلك. ولكنها لم تجرؤ على

ذلك، فنهض «ماك» عن السرير وارتدى ثيابه وخرج من الغرفة. لحقت به وسألته:

– إلى أين؟ إلى أين تذهب؟ أجابها دون أن ينظر إليها:

– إنني خارج للنزهة ولست بحاجة إلى من يرافقني. فقالت له:

– أعرف ذلك، أعرف أنك تحب الوحدة، فأنت ناسك يرفض أن يدخل أحد إلى عالمه، لا بأس! اذهب وحدك، فأنا أيضًا تعودت الوحدة، اذهب وإن شئت فلا ترجع أبدًا. قالت ذلك دون أن تعي ما تقوله من شدة غضبها وحزنها.

خرج وبقيت وحيدة تنتظر الليل، وتراقب عقارب الساعة التي تشير إلى الثامنة ثم التاسعة فالعاشرة وبعدها الحادية عشرة حتى أعلنت منتصف الليل، لكن «ماكير» لم يرجع بعد إلى المزرعة، لم تغف عينا «أوليفيا» ولم يغمض لها جفن، كانت خائفة مرتعبة. وعند منتصف الليل خرجت من غرفتها وقررت أن تترك المزرعة، أن تلحق به وتبحث عنه، لم تعد تحتمل الانتظار أكثر من ذلك، فخرجت تبحث عن زوجها في ظلمة الليل الحالكة، لبست ثيابًا دافئة لكنها نسيت أن تنتعل حذاء ملائمًا، وراحت تسير حتى ابتعدت عن المزرعة، وأخذت تنادي اسمه:

– «ماك»! «ماك»! «ماك»! حاولت أيضًا أن تنادي الكلب:

– «راف»! «راف»! «راف»! وبدأ الخوف يسيطر عليها، وظنت

أن «ماك» قد تاه في الغابة أو انقض عليه حيوان مفترس، كانت تصرخ باسمه فيرد عليها الصدى:

– «ماك»! «ماك»! كانت تركض كالمجنونة وتتسلق الصخور حتى وصلت إلى قمة التلة، وبحركة لاشعورية داست على حجر فوقعت على الأرض محدثة ضجة، واصطدم رأسها بالحجر، فصرخت بصوت غير واع:

– «ماك»! وغابت عن وعيها لبضع ثوان، ثم فتحت عينيها حين سمعت «راف» ينبح بالقرب منها، ودنا منها «ماك» وسألها:

– ما الذي جاء بك إلى هنا، وفي مثل هذه الساعة؟ أجابته وهي ترمقه بنظرة حنان:

– لقد تأخرت كثيرًا وخفت أن... سكتت وتأوهت من شدة ألمها، ثم تابعت قولها:

– لماذا تركتني وحيدة كل هذه المدة؟ أجابها:

– أردت أن أفكر... عليَّ أن أبتعد عنك وأنساك. ورغم الجفاء الذي ارتسم في عينيه، حملها وعاد بها إلى المزرعة. حين وصلا صعد بها مباشرة إلى الغرفة فوضعها على السرير، وتمدد إلى جانبها دون أن ينطق بأية كلمة، لكن «أوليفيا» لم تستطع أن تبقى صامتة، كانت تريد أن تشرح حقيقة مشاعرها فسألته:

– «ماك»! لماذا تعتقد أنني لحقت بك ورحت أبحث عنك؟ فالتفت

إليها وحدق إلى عينيها دون أن يجيب فتابعت قائلة:

– لقد دفعت ثمن الأثاث من مالي أو مال خالتي إذا أردت، إن «دانيال» مجرد صديق كان يعزيني في وحدتي، ويسليني بعد أن تركتني. توقفت وترددت قبل أن تضيف:

– لقد ذهبت ذات يوم إلى مكتب «فالتون» لأبحث عنك فوجدتك برفقة «أنيتا» وأنت تعانقها، هل كنت تعلم بوجودي؟ فأجابها بصدق:

– أجل. سألته من جديد:

– إذن فلماذا رفضت أن تقابلني؟ فأجابها بشيء من اللامبالاة:

– أردت أن أنتقم منك وأن أثأر لحبي. سألته مرة أخرى:

– لماذا اصطحبت «أنيتا» معك إلى «أمستردام»؟ فنظر إليها بصمت ثم أجاب:

– لم أصطحبها معي بل إنها هي التي أرادت أن تأتي وتلحق بي. وأضاف ببرود:

– لماذا أطلعت «بيتر إيفنس» على قصتنا؟ أجابته بعد تردد:

– هل تريد أن تعرف الحقيقة؟ فهز رأسه، فقالت:

– حسنًا! سوف أطلعك عليها. لقد هددتني «أنيتا» ومنعتني من رؤيتك، قالت إنها سوف تسيء إلى مهنتك إذا حاولت أن أراك. ارتسم التعجب على جبين «ماك» وقال:

www.rewity.com

– أردت إذن أن تحافظي على مهنتي وسمعتي. وهل تعنيان لك الكثير؟ فأجابت «أوليفيا» بصوت خافت مفعم بالصدق:

– كيف لا أهتم بهما وأنا زوجتك؟! وأمام صدقها الذي لم يكن يقبل أي شك، نهض عن السرير وأشعل سيجارة ثم قال:

– لقد جمعت «أنيتا» كل الأغراض التي اشترتها ورحلت، وأنا الآن سعيد برحيلها عني. وتابع وكأنه يحدث نفسه:

– يوم تركتني «أنيتا» لتتزوج برجل غيري، خاب أملي وأصبحت في حالة يأس وكآبة، وشيئًا فشيئًا بدأت أكرهها وأكره كل نساء الأرض، وحين تعرضت لحادث السيارة أردت أن أبتعد عن كل معارفي، وأن أعيش في مكان ناءٍ حياة ناسك؛ لذلك اشتريت هذه المزرعة؛ لأنعم بالوحدة التي كنت بحاجة ماسة إليها ثم جئت أنت، ومنذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها شعرت نحوك بشيء من الحب، حين غادرت المنزل في اليوم التالي جعلت «راف» يلحق بك ليعيدك إليّ. كانت الحمى تهز جسمي وتلهب شفتي وكنت أردد اسمك، وعلمت يومها أنك الفتاة الوحيدة التي كنت أرغب في أن تبقى بجانبي مدى حياتي وطوال عمري. بالأمس وأنا في مدينة «أمستردام»، عزفت لك، عزفت لحبنا. أجهشت «أوليفيا» بالبكاء وقالت:

– حبذا لو تعلم كم أحبك! لن أتركك أبدًا! لن أتركك أبدًا يا

حبيبي، خذني بين ذراعيك وضمني إلى صدرك، إني أحمل طفلك يا «ماك» ولن أتخلى عنه أبدًا، لن أتخلى عنكما أبدًا. راح يقبلها ويقول:

– يا حبيبتي، يا زوجتي ويا حياتي، سوف تحمل أحشاؤك طفلنا، ولن أتخلى عنك أبدًا، لن أدعك وحدك منذ الآن!

ثم ضمها إليه وغرقا في أحلى سمفونية حب عرفها العالم!

تمت بعون الله